روايات غادة

ستيفاني ونترز

حبيب العمر

www.elromancia.com

مرمورية
بيروت - لبنان

غادة

ستيفاني ونترز

حبيب العمر

السعادة كانت بحرها، النجاح شاطئها والتألق والشهرة، أو هذا على الأقل ما كانت تعتقده عارضة الأزياء الأولى ناتاشا كليو قبل أن تصل الى جزيرة مارغريتا للتمتع بعطلة مريحة بعد فسخ خطوبتها من مارك الذي اكتشفت انها لم تكن تحبه فعلاً. لكن فوق صخور هذه الجزيرة اكتشفت خطأها الفادح، عرفت أن كل سعادتها السابقة كانت مجرد أوهام، أدركت أن ضحكاتها كانت برنات فارغة بلا طعم ولا عمق. هنا اكتشفت الحب الحقيقي، عرفت معنى أن يكون الحبيب هو كل حياتك، كل سعادتك كل آمالك وآلامك! لكن روبرتو ستافرو كان نوعاً فريداً من الرجال الذين سبق لها وقابلتهم بكثرة. كان متعجرفاً، فظاً، قاسياً وغير مكترث مطلقاً! فهل من الممكن أن يكون هذا كله مجرد درع دفاع أم أنه كذلك فعلاً؟ وكيف ستعرف ذلك وهو يعاملها بكل خشونة؟ ويقبلها بازدراء وقسوة؟.

توزيع في لبنان
وكالة المطبوعات اللبنانية
٣١٨٣٠١

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظهيري للنشر والتوزيع
تلفون ٢٧٢٧٨٩٩

- ١ -

«لا شك أنني قد أصبت بالجنون..» قالت ناتاشا وهي تجيل نظرها بالسماء فوقها والبحر الأزرق حولها. كانت تشعر بالدوار والغيوم المتجمعة فوقها كانت تنذر بمطر قادم.

«ها قد وصلنا، آنسة» قاطع صوت البحار أفكارها المضطربة وأشار الى الأمام متابعاً: «ها هي مارغريتا».

تابعت ناتاشا بنظرها اشارة البحار ورأت من البعيد اليابسة.

«سنصل بعد ربع ساعة» قال البحار مجدداً وعاد يصفر اللحن الذي كان يتغنى به.

الجنون الذي جعلها توافق على كلام صديقتها كارمن وتأتي الى هذه الجزيرة للاستجمام.

عملها كعارضة أزياء أولى كان يشغل كل وقتها وتعرفها وخطوبتها على مارك جعلت حياتها بكل لحظاتها عملاً ومتعة وانشغالاً. لكن بعد فسخ خطوبتها هذه وشعورها بالملل الكامل من العمل ومن الكاميرات ومن الشهرة وأيضاً من الرجال اقترحت عليها صديقتها بأخذ فترة من الراحة والاستجمام.

«بإمكانك دفع تكاليف العطلة لا؟» قالت كارمن: «وقد أخبرتني

مرة أنك تملكين منزلاً في جزيرة مارغريتا صحيح؟».

«أجل، أجل» وافقتها ناتاشا: «لقد ورثت ذلك المنزل عن عمي قبل سنوات ثلاث. لكني لم أذهب الى هناك منذ ذلك الحين. ولا أعرف ما هو شكل ذلك المنزل أصلاً و..».

«لا شك أنه منزل حالم بكونه على جزيرة لا شك أنها رائعة الجمال» قاطعتها كارمن بحماس: «لو كنت مكانك لما ترددت لحظة بالذهاب والاختلاء بنفسي بمكان بحري وساحر، أنت مستاءة فقط لفسخ خطوبتك من مارك هذا كل شيء.. عطلة مريحة مع كثير من السباحة ستعيد كل شيء الى حاله. هذه هي كل المسألة».

وها هي ذي، بين السماء والبحر بطريقها الى الجزيرة، لكنها لم تكن مستعدة للتفكير بمارك الآن باستثناء أن صدمتها الكبرى كانت باكتشافها أن كارمن لم تحب مارك مطلقاً وأنها كانت أكثر من سعيدة لفسخ خطوبتهما.

«هذه هي».

«هذه هي مارغريتا؟» رددت ناتاشا وقلبها يغرق داخلها. لقد فات الوقت لها للتراجع الآن! كانت رحلتها ممتعة وفاخرة حتى لحظة استقلالها لهذا القارب الصغير. في البداية كان هناك المرفأ الحديث والسفن الضخمة والبنايات البراقة والضجيج والحركة.. لكن تلك كانت روما، والآن هذه هي مارغريتا. جزيرة معزولة بعيدة وهادئة.

«آه، لا!» تمتمت دون أن تقصد أن يكون صوتها مسموعاً، لكنها فعلت لأن البحار ابتسم ونظر اليها وقال:

«سأنزل لك حقائبك، انستي».

لكني أود العودة، الآن. نظرت اليه ولم تستطع النطق بالكلمات لكن يبدو أنه فهم ما يدور بخلدها لأنه هز رأسه ببطء وقال: «الطقس تعيس بعض الشيء الآن، لكنه سيتغير.. سترين ذلك».

كان يساعدها بالنزول الى الشاطيء الآن، قاطعاً آخر صلة لها بالعالم المتحضر.

«أنا.. أنا لا أعرف أين يقع منزلي» تمتمت متساءلة، ان كان صوتها يعكس ما تشعر به من ندم على مجيئها الى هكذا مكان. فلم يكن أمامها سوى عدد من الأكواخ الصغيرة وبعض البيوت الحجرية الرمادية بالاضافة الى كشك للهاتف أحمر اللون غير هذا لم يكن من شيء.. لم يكن من مخلوق. ولا حتى كلب أو مجرد طائر.

«سيطلعك أي شخص على المكان هل أحمل حقائبك الى أقرب منزل الآن؟».

«أجل، من فضلك» قالت فوراً: «اذا لم يكن عندك مانع».

«لا، أبدا» قال بابتسام وحمل الحقيبتين متجهاً الى أقرب المنازل.

استطاعت ناتاشا أن تشاهد الشارع الرئيسي الآن وان أحد المنازل كان عبارة عن محل تجاري بواجهة تعرض كل ما يمكن أن يباع بطريقة بدائية قديمة. رفعت ناتاشا رأسها الى السماء ورأت الغيوم الرمادية الباردة وارتعشت، هل من الممكن أنها لا تزال نائمة داخل القارب وان كل هذا مجرد حلم؟.

«اه، من الواضح أنها زيارتك الأولى للجزيرة؟» قال البحار وهما يصلان الى أقرب المنازل. ولا شك أن هذا لم يكن حلماً لأن المطر المتساقط ببطء أخذ يبلل شعرها ووجهها. رفعت ناتاشا ياقة معطفها المصنوع من الفراء وهزت رأسها.

«انها كذلك بالفعل. عندي منزل هنا.. بمكان ما» ردت.

«وأنت هنا لقضاء عطلة قصيرة؟».

«أجل» وافقته: «لمدة أسبوعين لكن.. هل عندك رقم هاتف؟» سألت بيأس.

أنزل الحقائب وطرق الباب قائلاً: «أجل، سأكتبه لك على ورقة».

«من الطارق؟» جاءهما صوت من الداخل.

«أنا بيتر. معي فتاة شابة هنا» قال ثم نظر الى ناتاشا متابعاً بصوت أقل انخفاضاً: «انهما يعانيان من ضعف السمع، لهذا يجب أن أصرخ عالياً».

«أجل، أجل» قالت ناتاشا.

فتح الباب الآن وأطلّت عليها امرأة مسنة ترتدي الملابس السوداء وتبتسم رغم خلو فمها من الأسنان وتقول: «تفضلا بالدخول».

نظر بيتر بشك الى ناتاشا وقال: «ستشعر بالحزن اذا لم نفعل».

ابتسمت ناتاشا وقالت: «حسناً». رائحة الطعام التي كانت تنبعث من الداخل جعلت ناتاشا تشعر بأنها تتضور جوعاً. الغرفة كانت واسعة بمدفأة ضخمة بوسطها تنشر الدفء والحرارة. الأثاث كان قديماً وضخماً لكنه نظيف ومريح.

«اجلسا. ستتناولان الشاي فوراً!».

الرائحة كانت بالغة الوضوح الآن وكانت تشير الى البيتزا التي كانت تطهى داخل المطبخ. وتساءلت ناتاشا ان كانت ستصاب بالاغماء من شدة الجوع قبل انتهاءها من احتساء الشاي. فبسبب حفاظها على رشاقتها كعارضة كان عليها اتباع ريجيم قاسي ودائم. وتذكرت أنها لم تتناول البيتزا الشهية منذ حوالي السنة، لكن الآن وفجأة أصبح تناولها لقضمة واحدة من البيتزا هو كل ما ترغب بشدة به.

«آسفة؟» قالت بدهشة وهي تعود الى الواقع من أحلام اليقظة لادراكها أن المرأة المسنة كانت تتوجه بالحديث اليها.

«لربما ترغبين بتناول بعض الطعام أولاً؟» قالت المرأة المسنة.

«آه.. اذا لم يكن من ازعاج..» ثم تذكرت ضعف السمع فتابعت بصوت مرتفع: «أجل من فضلك».

«آه، هناك بيتزا داخل الفرن. سنفرح كثيراً بمشاركتك بتناولها. شقيقتي على وشك احضارها الآن. ستتناول الطعام معنا بيتر؟».

طأطأ بيتر برأسه موافقاً وانتظر ابتعاد المرأة المسنة نحو المطبخ قبل أن يقول: «هذا سيكون من أسعد أيامهما بحصولهما على زوار. أنت لن تمانعي للبقاء هنا لبعض الوقت؟».

لو أنه فقط يعرف!.

«كلا» ردت ناتاشا: «لست على عجلة من أمري».

«آه، لا بأس اذن. وبامكانهما اخبارك عن موقع منزلك لاحقاً. أستطيع القول أنهما سيأخذانك الى هناك بأنفسهما».

«ما هي أسماءهما؟».

«لورا وفلورا تارغو..» قال.

وسمعت ناتاشا صوت المرأة المسنة من داخل المطبخ يقول: «الشاب بيتر قد أحضر لنا زائرة شابة فلورا. انها جميلة جداً».

اذن من فتحت لهما الباب كانت لورا.. ومرشد ناتاشا هو الشاب بيتر. نظرت ناتاشا اليه لتتأكد من تبسمه لهكذا وصف لكنه كما يبدو لم يسمع ذلك.

فلورا كانت كشقيقتها تماماً وكأنهما توأم. وكانتا ماهرتان بالطهي دون شك. فقد جاهدت ناتاشا حتى لا تلتهم بنهم قطعتي البيتزا الموجودتان داخل صحنها. ابتسمت للريجيم وهزت كتفيها وهي تتناول كل محتويات الصحن الشهي أمامها.

غادر بيتر بعد قليل من الوقت بعد أن سجّل لها رقم هاتفه وقال: «ستتصلين بي حين ترغبين بالعودة» وابتسم. شيء ما في ابتسامته أشعرها بالحيرة. وكأنه يعرف شيئاً لا تعرفه هي.

من الواضح أن الفضول كان يتحرق بأعماق المرأتين أمامها ولكن اللياقة كانت تمنعها من طرح السؤال الصريح حولها وحول سبب تواجدها بهذا المكان. وروت ناتاشا فضولهما وهي تحتسي الشاي بعد رحيل بيتر. وبدأت ناتاشا قصتها وهي تركز على رفع نبرة صوتها حتى تسمعاها لورا وفلورا مما جعلها غير منتبهة لردات فعلهما المنذهلة.

«عندي منزل هنا، لكني لا أعرف موقعه بالضبط» قالت ببطء وبصوت مرتفع: «لقد توفي عمي منذ عدة سنوات وتركه لي».

«آه.. عمك هو طوماس كليو اذن؟».

«أجل» ردت ناتاشا بارتياح: «تعرفان المكان؟ اسمي هو ناتاشا كليو».

بوصفها احدى أهم العارضات في ايطاليا فاسمها كان يثير رد الفعل السريع لكن هنا الاسم لم يكن يعني شيئاً. ابتسمت ناتاشا لذلك وأدركت أن أهميتها الوحيدة هنا تكمن بكونها ابنة أخ طوماس كليو.

«أجل، نعرف» ردت فلورا: «لكن لم يأتِ أحد الى هذا المنزل منذ سنوات ثلاثة».

«أجل. كنت أنوي المجيء لكني كنت مشغولة جداً..» توقفت وحذرتها حاستها من ردود فعلهما على كلماتها. هل هناك ما يقلقهما بهذا الشأن؟.

«لن يُسر روبرتو الشاب بذلك» علّقت فلورا متوجهة بالحديث لشقيقتها. زمت فلورا شفاهها وشعرت ناتاشا بغرابة كاملة انهما قد نسيتا وجودها.

«أجل، بالطبع لن يسر لذلك. آه يا الهي».

ومن هو روبرتو الشاب بحق السماء؟.

«روبرتو الشاب؟» سألت ناتاشا بابتسامة مشرقة.

«أجل، روبرتو ستافرو. هو لا يحب أن يزعجه أحد» قالت لورا وهي تنظر بحزن الى ناتاشا: «الطيور كما تعرفين».

«الطيور؟» رددت ناتاشا: «لكن أين هو روبرتو الشاب؟؟».

يبدو هذا كعنوان ما، ومتذكرة وصفهما لبيتر البالغ الخمسين من العمر بالشاب بيتر.. جعلها تتصور أن روبرتو هذا بمثل سن بيتر أو حتى أكبر سناً منه.. لكن ان يكون مغرماً بتربية الطيور؟ وضعت ناتاشا كفيها على جبينها، كلا حرارتها عادية جداً.

«انه يقطن بالكوخ المجاور لكوخ عمك.. أقصد لكوخك».

«آه. فهمت» ردت ناتاشا وقلبها يغرق مجدداً. المنزل هو مجرد كوخ اذن: «وهو لا يحب الغرباء؟» سألت وأدركت انه لم يكن يجدر بها المجيء الى هذا المكان. آه، لماذا تركت بيتر يرحل وحده؟.

«كلا» قالت فلورا وهي تبتسم قليلاً للتخفيف من الخيبة التي ظهرت على وجه ناتاشا وتابعت: «صراخه أسوأ من عضته، أنا واثقة من ذلك. الأمر فقط.. انه..» وعضت فلورا على شفتها السفلى.

«انه ماذا؟» حثتها ناتاشا.

«حسناً.. انه فقط كان شديد الامتعاض من هجر المنزل وتركه هكذا لفترة طويلة..».

آه، حقاً؟ رددت ناتاشا بنفسها. اذن هو من أولئك العجائز الفضوليين الذين يتحرشون بأمور غيرهم. اذن هذا هو الوضع؟ رفعت نظرها الآن والبريق يشع داخل عيونها الزيتية الواسعة وهي تنظر من الشقيقة الى الأخرى وابتسمت. ليس لهما علاقة بهذه النقطة، هما كانتا اللطف بعينه، لكن اذا اعتقدتا أن ذلك الرجل سيمنعها من الوصول الى كوخها الخاص...

«شكراً لكما على اطلاعي على ذلك. يجب أن أراه وأشرح له

الوضع صحيح؟» وأخبره أن يهتم بشؤونه الخاصة فقط تابعت لنفسها فإحدى حسنات عملها كعارضة أزياء ناجحة كانت معرفتها الاعتناء بنفسها جيداً دون الحاجة لمن يعظها بفعل هذا أو ذاك.

«لا بأس» قالت لورا وهي تنظر الى شقيقتها: «من الأفضل أن نوصل الآنسة كليو الى كوخها الآن صحيح؟».

«آه، لكن..» احتجت ناتاشا: «كنتما بالغتا اللطف ولا أستطيع السماح لكما بالخروج بمثل هذا الطقس الممطر. فقط لو تصفان لي المكان وموقعه و..».

«هراء» قالت فلورا وهي تنظر نحو النافذة: «انه مجرد مطر خفيف هذا كل شيء. وهذا يوم رائع للسير».

مجرد مطر خفيف! وابتسمت ناتاشا قليلاً. في روما كانت لتستقل التاكسي، لكن لا يوجد هكذا شيء هنا كما يبدو: «أنتما بالغتا اللطف..» بدأت.

«آه، يسرنا جداً استضافة أحد بمنزلنا. فقط اجلسي وتابعي احتساء الشاي. لا داعي للعجلة. لا داعي مطلقاً للعجلة».

المطر كان يتساقط على وجهها وساقيها وهي تسير على الطريق الضيق. ورفضت ناتاشا النظر الى حذائها وتنهدت لتذكرها الحذاء العالي الساق الأنيق الموضوع داخل الحقيبة. كان ذلك ليعطيها بعض الدفء. لورا وفلورا كانتا تسيران بحماس قربها. لم تستطع منعهما من مساعدتها بحمل الحقائب وكانتا ترتديان معاطفهما الجلدية الطويلة وتسيران وكأن لا وجود لشيء يسمى مطر. كانت لورا تحمل كيس مشتريات ناتاشا وفلورا تحمل حقيبتها الزرقاء الصغيرة، نظرت ناتاشا اليهما بامتنان وتمنت ألا يكون المكان بعيد، كانت تعرف أن المنزل مؤثث وأول ما عليها فعله هو اشعال النار بالمدفأة وتحضير الشاي للمرأتين الطيبتين.

طرق سمعها صوت محرك سيارة قريب ونظرت ناتاشا حولها فوراً. سيارة رانج روفر كانت تقترب من أول الشارع بسرعة متوسطة.

صاحت ناتاشا: «هناك سيارة قادمة».

توقفت العجوزتان ونظرتا حولهما، ثم الى بعضهما البعض وهزت فلورا رأسها موافقة: «أجل، انه هو» قالت ورفعت عصاتها مشيرة الى سائق الرانج روفر الذي أوقف السيارة فوراً على بعد أمتار قليلة منهم. ورفعت ناتاشا نظرها، وشعور مرعب داخلها.. ثم غادر الرجل السيارة واقترب منهم وانتفض قلبها بطريقة غريبة. هذا هو روبرتو الشاب؟ وابتلعت ريقها بصعوبة هذا لم يكن محب عجوز للطيور. كان رجلاً طويل القامة بشكل واضح وبجسد رياضي ويرتدي سترة سوداء وبنطال جينز أسود مخفي داخل الحذاء العالي الساق الأسود الذي كان يرتديه.. لكن وجهه كان الشيء الذي جذب نظرها كالمغناطيس بشكل لم تكن قادرة حتى على ابعاد عيونها عنه. لقد قابلت كل أنواع الرجال بعملها كعارضة أزياء أولى، وتعلمت معرفة الرجل النعجة من الرجل الذئب، الخبيث من المحترم.. لكن لم يسبق لها أن قابلت رجلاً مثل روبرتو الشاب هذا.

كان رجلاً بكل معنى الكلمة. وجه برونزي، ذقن حاد، فم ممتلىء، أنف مستقيم.. وعيون زرقاء داكنة وقاسية كباقي ملامح الوجه. شعره كان أسود داكن وبدون تسريح كما يبدو لشدة كثافته وطوله. وكأنه قرأ أفكارها عند هذه النقطة فقد مرر أصابعه بشعره وعيونه تحدقان بها للحظات. ثم نظر مباشرة الى لورا وفلورا وللحظة فقط لاحظت ناتاشا شيء ما خلف قناع القسوة ثم ابتسم.

«طاب يومكما أيتها السيدات. هل أقلكما الى مكان ما؟» صوته كان عميقاً ومؤثراً بلكنة مثيرة ونظرت العجوزتان الى بعضهما البعض

ثم ابتسمنا له.

«حسناً، كنا متجهات الى جهتك..» استمعت ناتاشا بذهول للرقة التي اكتست صوت فلورا ورمت الرجل بنظرة جانبية وهي تستمع لشرح فلورا من حديثها وتلقت بريق عيونه الكهربائي الغاضب، كانت هذه صدمة لها.. تبعتها صدمتها بسماع كلماته الموجهة اليها.

«اذن فقد أتيت الى منزل كليو أخيراً؟».

الكلمات كانت غير مهينة لكن طريقته بنطقها لم تكن كذلك وخاصة تركيزه على الكلمة الأخيرة. اشتعل الحنق داخلها وأدركت الآن بالضبط ما حاولت المرأتان اخبارها به.

«أجل» قالت وقد صمتت على عدم التورط بمعركة كلامية معه، ليس الآن على الأقل. ولهذا فقد ابتسمت ولاحظت تصلب عضلة في فكه وشعرت بالرضى. لقد أتت الى هنا للابتعاد بالذات عن الرجال، أتت لتحظى بالراحة والهدوء لترتيب الكثير من الأشياء داخل عقلها. واذا ما اعتقد هذا الرجل الصلب انه سيعظها بما عليها أن تفعله فهو سيكو مخطئاً تماماً.

«حسناً، من الأفضل اذن أن نذهب الى هناك بالرانج روفر» قال واستدار نحو لورا: «أعتقد أنك والآنسة فلورا تستطيعان الجلوس سوياً في المقعد الأمامي. ستجلس الآنسة كليو في الخلف..» ورماها بنظرة سريعة أخذاً بعين الاعتبار معطفها الفاخر وحذائها المغطى بالوحل وابتعد بنظره لكن هذا كان كافياً لناتاشا لملاحظة النظرة التي سكنت عيونه.. نظرة الاحتقار المستمتع.

«آه، لكن..» احتجت لورا: «لقد حضرنا فقط لإرشاد الآنسة كليو على موقع الكوخ. مادمت ذاهباً الى هناك..» وتلاشى صوت لورا وشعرت ناتاشا بالرعب فجأة. من غير الممكن أن يتركاها الآن.. وحدها معه!.

«أنا واثق أن الآنسة كليو سترحب بمساعدتكما لها بالاستقرار بالكوخ» قال ببطء ووضوح حتى تسمعا كل كلمة، وتنهدت ناتاشا قليلاً.

«لربما من الأفضل آنسة كليو لو تدخلي أنت أولاً ثم أناولك حقائبك. تستطيعين الجلوس على احدى الحقائب، أخشى أن مؤخرة الرانج روفر لم تخصص للمسافرين».

فهمت ما كان يقصده فور دخولها الى السيارة. الحبال وقصبات الصيد والصناديق الصغيرة كانت تملأ المكان وكانت رائحة البنزين والسمك هي المنتشرة. هو لم يفعل ذلك عن عمد، فكرت ناتاشا، لكنها شعرت بالنظرة المستمتعة التي كانت داخل عيونه وهو يساعد المرأتين على الصعود الى المقعد الصغير الى جانبه. بدأت تختبر شعور من عدم الاعجاب العميق نحو هذا الغريب الداكن.. وكانت متأكدة من شيء واحد.. ان هذا الشعور كان متبادلاً.

«حسناً، تمسكوا جيداً» قال واختبرت ناتاشا أسوأ رحلة قامت بها بهذا اليوم. لربما كانت قيادته السبب أو الطريق ذاتها لكن الرحلة ستنتهي أخيراً دون شك، روما، والراحة كانتا على بعد آلاف السنين الضوئية عنها كما يبدو وهي قابعة داخل السيارة المعتمة والارتجاج والصعود والهبوط يشعرها برغبة بالتقيوء. خدّقت بمؤخرة رأسه من مكانها قص الشعر لن يؤذيه دون شك، فكرت، وتساءلت عن لحظة وصولهم الى الكوخ. لم يكن بإمكانها الرؤية بوضوح من مكانها ولكنها أدركت أن المسافة طويلة والمطر ينهمر على زجاج السيارة بقوة الآن! وغمر ناتاشا شعور هائل بالندم والانزعاج ما الذي كانت تفعله هنا بحق السماء؟ لو أن كارمن كانت فقط برفقتها! لاختلف كل شيء! من المريح جداً وجود صديق حميم قربك للتحدث معه وليخفف عنك. لكن بوجود روبرتو الشاب كشجار لها.. توقفت

عند هذا الحد من التفكير لأن السيارة توقفت فجأة وأدركت أنها قد وصلت أخيراً الى منزلها الذي ستراه للمرة الأولى الآن!.

استدار روبرتو لينظر اليها ثم غادر السيارة واتجه ليفتح الباب الآخر. ساعد لورا وفلورا بالنزول ولم تحمل عيونه الزرقاء القاسية أي تعبير وهو يقول: «هل بإمكانك النزول؟».

«أجل شكراً لك» واللعنة عليك أضافت بصمت وهي تقفز من داخل السيارة الى الأرض بثبات. أخذ هو يخرج حقائبها وتشاغلت هي بالنظر الى الأكواخ أمامها. السيدتان كانتا تراقبانها وحاولت ناتاشا اخفاء خيبة أملها لما تراه. ثلاثة أكواخ على نفس الصف، احدهما كان نصف مهدم ولم تحتاج ناتاشا للكثير من الذكاء لمعرفة أي من الاثنين هو كوخها. فالكوخ الثالث كان بشبابيك خضراء مفتوحة الخشب والدخان يتصاعد من مدخنته. كوخها هو الذي في الوسط، البارد والمهجور بباب أخضر قديم لا يعطي أية اشارات ترحيب من أي نوع.

«ها هو المكان. أنت تملكين المفتاح دون شك آنسة كليو؟».

«بالطبع» ردت وهي تنظر اليه وهو يحمل حقيبتاها. ما كان ليدهشها مطلقاً لو أنه ناولها الحقائب لتحملها بنفسها، لكنه لم يفعل، وسار نحو الباب الأخضر وتبعه الباقون. بعد لحظة تردد سارت ناتاشا خلفهم والمطر ينهمر بقوة وغزارة وأدركت أنها لم تشعر بمثل هذه التعاسة من قبل أبداً.

البحر كان قريباً لكن صوت تكسّر الأمواج أخبرها أن هناك الصخور أيضاً لأن التلال كانت تحجب عنها منظر الشاطيء.

عبثت بمحتويات حقيبتها بحثاً عن المفتاح الذي استلمته من المحامي قبل أسبوع في روما. كان عليها الذهاب الى فرنسا وقضاء العطلة مع بعض الأصحاب في «كان».. لكنها استمعت لنصيحة

كارمن. وها هي هنا الآن.

كانوا بانتظارها على العتبة، ثلاثتهم، المرأتان بوجوههم اللطيفة والثالث بعيونه العدائية التي كانت تخبرها بوضوح أنها من غير المرغوب بهم.

وضعت ناتاشا المفتاح بالقفل وحاولت تحريكه. لم يحدث شيء. وجاءها الصوت العميق بهدوء.

«دعيني أحاول» قال.

ولم يكن هذا خيالها، هي تعرف أنه كان يستمتع بانزعاجها حتى لو لم يتفوه بذلك. أبعدت أصابعها عن المفتاح فوراً ووصل هو وحاول تحريكه.

«انه عالق. لربما بسبب عدم استعماله طوال سنوات» لا شيء بالكلمات فقط بطريقة نطقه لها. زمت ناتاشا شفاهها بعجز. يا الله! أنا أكرهه فكرت بأعماقها.

«لا بأس» قال وهو ينظر الى الشقيقتين: «ستصابان بالأنفلونزا لبقاءكما في الخارج هكذا. سندخل الى منزلي ثم سأعود وأحاول أن أفتحه بمفردي».

فتح باب كوخه ودون سابق انذار اندفع من الداخل زوج من الكلاب الضخمة. تجمدت ناتاشا مكانها للحظات فيما دخلت الشقيقتان بخطواتهما البطيئة.

نظر روبرتو اليها وعلّق: «لن يؤذياك، ابتعدا روس، شيلي».

نظرت اليهما ثم اليه. اذا ما كانت هذه تجربة فهي مصممة على النجاح.

«أنا أحب الكلاب» قالت ومدت يدها لهما ليتشمماها. ثم ابتسمت للرجل المراقب ودخلت الى الغرفة.

النار كانت تتوهج داخل المدفأة. سجادة حمراء كانت تغطي

أرض المكان وتتناسب مع الكنبة الكبيرة المواجهة للمدفأة الكراسي الخشبية السوداء الضخمة على الجانبين. جو الغرفة العام كان يوحي بالدفء والترحيب.

«سأضع ابريق الشاي على النار. تفضلوا بالجلوس» واختفى داخل المطبخ وسمعت ناتاشا صوت تحضيره للشاي. لم تكن ترغب بالجلوس لكن لم يكن أمامها أي خيار آخر روس وشيلي كانا يقبعان أمام النار قرب الشقيقتان الجالستان برضى على الكنبة الكبيرة. جلست ناتاشا على الكرسي الخشبي وأجالت نظرها على الغرفة حولها. كان هناك جهاز تلفزيون بإحدى الزوايا وبجانبه جهاز ستيريو. تحركت أصابعها لتفحص عشرات الشرائط التسجيلية المرتبة تحته لكنها أبعدتها فوراً. هي لا تريد أن تعرف ما هو ذوقه في الموسيقى. هي لا تهتم.. فعلى كل حال هي كانت هنا فقط لأن باب منزلها لم ينفتح ولأنه لم يكن بالامكان ترك الشقيقتين المسنتين تحت المطر فجأة راودتها رغبة عارمة بإلقاء نظرة على مطبخه فهذه الفرصة لن تسنح لها مجدداً. وقبل أن تحلل دوافعها تحركت من مكانها ودخلت المطبخ.

«هل أساعدك سيد ستافرو؟» سألت برقة وهي تنظر حولها.

«باستطاعتي تدبر الأمر بمفردي. شكراً لك. حالما أنتهي من تحضير الشاي سأذهب وأفتح باب منزلك»

وجوده كان يملىء الغرفة بالقوة والطاقة. العداء.. الخفي لكن المتبادل.. كان قوياً بينهما. لم يكن قد أشعل ضوء المطبخ ولهذا فالظلال كانت تسيطر على كل شيء وشعرت ناتاشا فجأة بالخوف منه. ابتعدت قليلاً فور تحركه باتجاهها لكنه كان فقط يتجه ليفتح الخزانة قربها ويتناول منها علبة كبيرة.

«بسكويت» قال وكان يبتسم لملاحظته لارتعاشها لحركته تلك

وشعرت هي بانزعاجها من نفسها لذلك.

«اذن سأعود الى غرفة الجلوس» قالت.

«خذي هذه الصحون معك.. من فضلك» أضاف برقة: «أنا لن أتأخر وسأفتح لك الباب بعد ذلك».

بعد عدة دقائق وفيما هي بمكانها قرب النافذة تستمع بعدم تركيز لثرثرة الشقيقتين لصوت روبرتو وهو يغادر المنزل مغلقاً الباب خلفه ومتجهاً ليفتح لها باب منزلها.

مرت الدقائق قبل أن يدخل مجدداً ويناولها المفتاح.

«لقد فُتح الباب. المنزل لك» كانت العيون الزرقاء تسخر منها لكنها واجهت نظراته بتحدي.

«شكراً لك. كنت بالغ اللطف».

«المكان شديد البرودة هناك.. ولا شك أنه بالغ الرطوبة أيضاً بعد كل هذا الوقت. انه لا يصلح تماماً للاقامة. هل أنت واثقة تماماً مما تفعلينه؟».

نهضت ناتاشا، انه لا يتصرف بلياقة نحو هذا الموضوع الآن. واجهته وأنفاسها المتلاحقة فقط هي التي تفضح مشاعرها. أدركت أن الشقيقتين المنشغلات مع روس وشيلي ما كانا يسمعانها. فقالت بحدة: «أنت لن تتخلص مني بمثل هذه السهولة سيد ستافرو مع أنني متأكدة من أنك تبذل جهدك لذلك. لماذا، لا أعرف. لكني سأخبرك أمراً واحداً. بإمكانك أن تصبح شخصاً فظاً بجهد لا يذكر».

ارتفع حاجبه الداكن قليلاً وعلق: «الفتاة عندها الشجاعة، حسناً، حسناً.. لكن لو كنت مكانك لانتبهت لحدة لساني. فهذا لن يفيد معي.. واذا طلبت مني الذهاب الى الجحيم فلن تستطيعي العودة الى هنا بعد دقائق لتستجدي بعض الفحم والخشب اليس كذلك؟».

أخذت ناتاشا نفساً عميقاً. الفحم والخشب؟ ماذا لو لم يكن

بالكوخ أي من هذا؟ نظرت اليه. كان شخصاً بربرياً ومتوحشاً. لقد التقت به قبل نصف ساعة فقط وهو وقت لا يمكنك من تكوين أي انطباع. لكنها كانت واثقة تماماً من نقطة واضحة. لم يسبق لها بحياتها كلها أن قابلت شخصاً وشعرت بعدم اعجابها به مثل روبرتو ستافرو هذا.

لكن يبدو أن الأسوأ كان بانتظارها، فبعد أقل من عشرة دقائق كانوا جميعاً داخل غرفة الجلوس بمنزل ناتاشا وأدارت ناتاشا عيونها الجميلة بالمكان وقلبها يغص لرؤيتها لممتلكاتها للمرة الأولى. ما كان المكان ليبدو بكل هذا السوء لو أنها لم تحضر للتو من منزل روبرتو الدافيء والمرتب. وما كان يزعجها أكثر من أي شيء اخر كان ثقتها الأكيدة أنه يدرك ذلك بدوره.

الشقيقتان بدورهما لم تكونا كذلك فقد كانتا منشغلتان بتفحص المكان واصدار تعليقاتهما عليه. اقترب روبرتو من المدفأة وسمعت ناتاشا صوت شهقته المفاجئة. ماذا الآن؟.

«يبدو أن المدفأة بحاجة للتنظيف» قال وهو يجيل بصره بالمكان: «سيمتليء المكان بالغبار الأسود اذا لم تنتبهي».

ودت ناتاشا لو تصفعه على وجهه الجذاب هذا لتمتعه السادي بحالها وتفتيشه عن الأخطاء منذ لحظة وصولها.

«سأتحمل المخاطرة» قالت وهي تنظر داخل المدفأة: «سأخرج وأرى ان كان هناك بعض الوقود».

نهض وقال فوراً: «سأوفر عليك المشقة، هناك بعض الوقود.. لكن ليس الكثير. عليك أن تكوني مقتصدة والا فإن الكمية ستنفذ على الفور فيما أنت هنا».

«آه، فهمت. شكراً لك» قالت وهي تبتسم بإغاظة: «لربما هناك مدفأة كهربائية هنا؟».

هز رأسه فوراً وقال: «لن تكون ذات فائدة حتى ولو كانت موجودة.. فلا يوجد كهرباء هنا».

«لكنك..» توسعت عيونها بذهول: «لكنك تملك جهاز تلفزيون».

«آه، أجل لكن يوجد بمنزلي كهرباء، فكما ترين» تابع وكأنه يتحدث مع طفل غبي: «عندي طاحونة هواء خاصة لتوليد الكهرباء في حديقتي. سترينها اذا ما نظرت من نافذة المطبخ» أضاف بلطف.

غادرت الغرفة لا لتشاهد «طاحونة الهواء» خاصته بل لتسأل كيف بإمكانها تحضير الطعام وتنفست الصعداء حين وجدت فرن غاز ضخم يتوسط المطبخ الصغير.

تفحصه هو بدوره دون استئذان بعد أن لحق بها الى المطبخ: «فرن صالح؟! أنت محظوظة! يبدو أنه بحالة جيدة».

لم تستطع الا أن تعلّق بقولها: «وأنت آسف لذلك».

نظر اليها وقال: «أنا لا أفهم ماذا تقصدين بهذا» لكن الالتواء البسيط بفمه عكس كذبه.

«أنت بالطبع تعرف ذلك وتعرفه جيداً. اذا ما استدرت وغادرت الجزيرة الآن فستكون أنت أكثر المبتهجين! ولهذا فدعني أخبرك شيئاً ومنذ الآن سيد روبرتو. أنت لن تتخلص مني بهذه السهولة!».

بدا مصدوماً: «أتخلص منك؟ انها كلمة درامية آنسة كليو لا شك أنك تشعرين بالتعب بعد رحلتك الطويلة من روما اليس كذلك؟ لا شك أنك ستكونين بحال أفضل بعد وجبة جيدة وبعد الراحة».

«لقد تناولت ـ وجبة جيدة ـ شكراً لك. وأنا لست تعبة. كل ما أريده هو الاستقرار بمنزلي واشعال النار بالمدفأة. أنا.. أنا أتطلع بشوق لقضاء عطلتي هنا».

«آه، أنا واثق من ذلك. لا يوجد الكثير للقيام به هنا بالطبع لكن

هذا سيكون تغييراً لك.. فبعد كل شيء لا شك أن العمل في روما لا يحمل الكثير من المتعة صحيح؟».

«هذا يعتمد على طبيعة العمل الذي تعمله هنا. عملي كثير التسلية ووافر المتعة».

«همم» طأطأ بموافقة مؤدبة: «لكنك دون شك كنت بحاجة للهروب منه لبعض الوقت ولهذا فقد تذكرت منزلك الصغير. يا للروعة».

«أجل، هذا رائع اليس كذلك» ردت بنعومة وقد قررت ألا تتأثر باستفزازاته! اللعنة عليه: «وأنت تعيش هنا طوال الوقت سيد ستافرو أخبرني، هل تذهب بعطلة عادة؟» وابتسمت له.

«أحياناً».

«يكون الهدف من ذلك تغيير الأجواء على ما أفترض.. أقصد بعد كل شيء، وكما قلت بنفسك لا يوجد الكثير للقيام به هنا صحيح؟ خاصة ليس لرجل نشيط وشاب مثلك».

ضحك وقال: «آه، فهمت. ما تتساءلين عنه فعلاً هو ما اذا كنت أعمل من الأصل.. آه أجل، عندي الكثير من المشاغل انسة كليو، لا تقلقي نفسك بذلك. أنا لا أتسكع هنا وهناك أؤكد لك ذلك».

توسعت عيونها: «يا الهي وهل قلت أنا ذلك؟».

«كلا، لكن التلميح كان موجوداً. أنا أكتب كتاباً عن الطيور التي تعيش على هذه الجزيرة.. هناك الكثير من الأنواع المختلفة والتي ستشاهدينها بالطبع أثناء نزهاتك. وبما أننا بالموضوع الآن، فأنصحك بأن تصطحبي معك عصاة.. اذا.. رغبت بالسير في الحقول».

«لماذا؟» سألته ببعض القلق.

«لأن التارا والبيسك.. وهما نوعان من الطيور الموجودة هنا..

تهاجم الأشخاص العزّل. ورفعك للعصى سيبعدها عنك. عليك أن تكوني بالغة الحذر وأنت تجولين بأماكن تواجدها». لا شك أن عدم تصديقها لكلامه كان واضحاً على ملامحها لأنه تابع بثقة: «ليس عليك تقبّل ما قلته لك.. فستكتشفين ذلك بنفسك عاجلاً».

«شكراً لك على اطلاعي على ذلك. سأحتفظ بالنصيحة. لأنني أنوي القيام بالعديد من النزهات أثناء فترة اقامتي هنا».

«اذن أتمنى أن يكون لديك حذاء سير جيد» قال.

«عندي، شكراً لك» قالت وسارت لتفتح باب المطبخ الخلفي لكن دون فائدة.

«اسمحي لي» قال بعد فترة وامتدت يده نحو المقبض فسارعت هي بسحب أصابعها وابتعدت. فبالرغم من طول قامتها الا أنها كانت تشعر بالضآلة أمام هذا الرجل.

راقبته وهو يفتح القفل بيسر وسهولة ثم استدار وابتسم لها بخبث.

«اللطف يفعل الأعاجيب» قال وانحنى ليغلق القفل ويفتحه مجدداً: «هكذا. من الأفضل أن تضعي بعض الزيت على هذه الأقفال.. اذا كان عندك بعض الزيت. أنت لا تريدي أن تصارعي الأقفال كل صباح ومساء اليس كذلك؟».

تسارعت نبضات قلبها ووجدت نفسها تسأله: «قل لي ماذا تقصد بذلك».

حدّقت العيون الرمادية مباشرة بعيونها ولكنها لم تكن عيوناً ساخرة.. ليس بتلك اللحظة على الأقل.

«أقصد أن هناك بعض الغرباء على الجزيرة. فقط نفذّي نصيحتي».

«أنت تحاول اخافتي» قالت بصوت مبحوح يعكس قلقها.

«كلا، المنطقة هنا معزولة قليلاً عن القرية كما لاحظت دون شك.. وأنا نومي ثقيل جداً».

للمرة الأولى منذ وصولها الى هنا شعرت ناتاشا أنه فعلاً صادق وجدّي وشعرت بالخوف يتنامى داخلها فسارعت بإبعاد نظرها عنه حتى لا يشاهد تأثير كلماته عليها.

«سآخذ بنصيحتك. سأذهب وأسال السيدتين ان كانتا ترغبان بتناول الشاي».

«اذن سأحضر أنا حقائبك. عن اذنك» قال وغادر المطبخ من الباب الخلفي. راقبته ناتاشا وهو يغادر ومشاعرها مختلطة. للحظات فقط تلاشى عدم الاعجاب وحل محله شعور آخر. ما كانّ هذا الشعور الآخر هي لم تعرف، استدارت ودخلت غرفة الجلوس.

خلا المنزل لها بعد بعض الوقت وبعد أن رحل زوارها تنشطت ناتاشا وأخذت تنظف المكان والسجاد وتمسح الغبار ومع أنها كانت تشعر بالتعب الا أن منظر المنزل بعد التنظيف أشعرها بالسعادة بعد أن كانت نار المدفأة قد أشاعت جو الدفء والحميمة داخل المكان.

استحمت ناتاشا واسترخت داخل المياه الساخنة وتساءلت عن سبب عدوانية السيد روبرتو ستافرو الصريح والواضح لوجودها هنا؟ من غير المعقول أن سبب ذلك كتابه عن الطيور؟ فما شأنها هي بذلك.

ارتعشت ناتاشا وأنباها حسها أن السبب أعمق بكثير من ذلك! لكن ما هو هذا السبب؟ هي لا تعرف ذلك ولا تهتم أصلاً اذا كان هناك من تحدي فهي تقبله وستتحدى الشاب روبرتو ستافرو هذا وسيعرف هو أي خصم هي ناتاشا كليو!.

برقت عيونها لهذا وقررت أن تتصل بصديقتها كارمن من صندوق الهاتف الذي شاهدته بأول الطريق. وهذا ما فعلته فعلاً بعد حين.

«ماذا؟ ناتاشا؟» جاءها صوت كارمن المندهش والواضح جداً: «هل هذا أنت حقاً..؟ آه ناتاشا كيف حالك؟».

«بخير كارمن. اسمعي لقد وصلت بخير ونظّفت المنزل بأكمله لكني كنت ألعنك لحظة وصولي! المكان مقفر ومنعزل وهناك ذاك الرجل المريع الذي يريد التخلص مني وابعادي..».

«ماذا؟ ماذا تقصدين؟» قاطعتها كارمن بقلق.

ضحكت ناتاشا وأوضحت: «آه انه لا يحاول اغتيالي أو ما شابه.. ليس حتى الآن على الأقل.. لكنه يسعى جاهداً لأغادر هذا المكان. انه يراقب.. طيور أو ما شابه غرابة..».

«كيف يبدو؟ عجوز؟».

«عجوز؟» إبتسمت ناتاشا: «يا الهي، لا. انه في الخامسة والثلاثين تقريباً، رجل ضخم وفظ و..».

«وملامحه كيف هي؟».

«آه، داكن البشرة قليلاً.. وجهه وسيم بالحقيقة» قالت وهي تشعر بالاستغراب لتذاكرها لتفاصيل وجهه بدقة: «ضخم الجثة، عريض المنكبين وعنده كليين هائلين سببا لي الرعب العميق. انه يقطن بالمنزل المجاور لي.. يقود سيارة رانج روفر رهيبة وينادديني بالآنسة كليو بصوت جليدي ويتابع التلميح أنني لن أتمكن من العيش هنا ويتساءل عن سبب بقائي بهذا المكان و..».

«جون لن يتمكن من المجيء الى المنزل الا بعد شهر» قاطعتها كارمن.

«ماذا؟» صاحت ناتاشا بدهشة: «آه، ما الأمر كارمن؟».

«لا شيء» قالت كارمن بضحك: «فقط لقد افتتحوا فرعاً جديداً للشركة في اسبانيا واستدعوه هو ليشرف على الأعمال هناك ولمدة شهر. ألا ترين؟ كان بإمكاني مرافقتك الى الجزيرة».

«آه، يا لحظي العتيد! كارمن أنت لن.. لا تستطيعي..».

«بلى أستطيع. هل تريدين أن أحضر؟».

«أريد؟ أنا أتلهف لذلك. هذا سيكون أروع الأشياء على الاطلاق. انتظري، معي رقم صاحب القارب الذي أوصلني الى هنا، سيسر لإحضارك بدورك، سجّلي الرقم».

أعطت صديقتها الرقم ثم تابعت: «متى بإمكانك الحضور؟».

«حسناً يجب أن أحجز التذاكر أولاً. هلا اتصلت بي في الصباح؟».

«بالطبع. سأفعل ذلك مع أول شعاع شمس عند الفجر.. أو بعد ذلك بقليل. لا أعتقد أن عندهم فجراً هنا فالظلام لا يحل بهذه الأنحاء كما يبدو..».

«اعفيني من التفاصيل الجغرافية يا حبي فسأكتشف ذلك بنفسي قريباً. هل عندك رقم هاتف لأتصل أنا بك؟».

«أجل» ردت ناتاشا وأعطت صديقتها رقم الهاتف العام هذا ودعتها وأقفلت السماعة.

سارت ناتاشا الآن بخطى سعيدة ومبتهجة نحو منزل لورا وفلورا لتطلعهما على وصول صديقتها والابتسامة تزين ثغرها وفرحتها عميقة وهي تشعر أن الجزيرة مكاناً رائعاً وجميلاً. لم تمكث ناتاشا عندهما طويلاً ووعدتهما بإحضار كارمن للتعرف اليهما فور وصولها.

ثم انطلقت لقطع المسافة نحو منزل روبرتو ستافرو وهي تتساءل عن رد فعله حين تخبره أن صديقة لها ستصل وانه سيكون مضطراً لتحمل امرأتين وليس واحدة! ضحكت ناتاشا بصوت عالي وهي تتخيل رد فعل روبرتو ستافرو لرؤية كارمن المرحة اللطيفة والثاقبة النظر.

لم تستطع فتح الباب الرئيسي لمنزلها الآن ولعنت بصمت وهي تحاول تحريك المفتاح داخل القفل دون جدوى.

سمعت صوت كلب قربها واستدارت لتجد جارها الرياضي يقترب منها وبصحبته كلابه الضخمة.

«أتعانين المشاكل مع الباب؟» سألها بعيون ضاحكة.

«أجل» ردت باختصار.

«يا الهي، يا الهي» تمتم: «ما الذي سنفعله بك؟».

استدارت ناتاشا ببطء ونظرت مباشرة الى وجهه الساخر: «لا تزعج نفسك.. ستصل صديقة لي بعد يوم أو يومين. انها قادرة تماما. وأنا واثقة أننا وسوياً سنتدبر الأمور جيداً».

للحظة فقط لمع شيء ما بأعماق عيونه الرمادية وتشنجت ملامحه قبل أن يعود كل شيء الى حاله.

«حقاً؟ هل تسمحين لي بالمفتاح؟» ناولته اياه وتابع: «شكراً متى ستصل صديقتك؟».

«لا أعرف. سأتصل بها في الصباح».

فتح الباب وأعاد لها المفتاح وسأل: «ولماذا لم تحضر معك من البداية؟».

«لأنها اعتقدت أن زوجها سيعود من أثينا ولكنها وجدت أنه مضطر للبقاء خارج روما لمدة شهر اضافي. وهكذا..» هزت ناتاشا كتفيها متابعة: «والان هي ستنضم لي لقد أخبرتها عن جمال المكان هنا.. ولا تستطيع الانتظار للوصول الى هنا».

«وهل هي عارضة أزياء أيضاً».

«كلا. هي لا تعمل» قالت وهي تفتح الباب على مصراعيه: «هل لي أن أرد لك ضيافتك سيد ستافرو؟ فنجان من القهوة أو من الشاي؟» سألت وهي تدرك أنه سيرفض.

«كلا، شكراً. يجب أن أطعم الكلاب الآن. تصبحين على خير آنسة كليو».

«تصبح على خير» قالت ودخلت المنزل مغلقة الباب خلفها وهي تشعر أن العدائية تتواجد فوراً بينهما حالما يلتقيا. انها أكثر من مسرورة لوصول صديقتها الى هنا فكارمن بهدوءها وبعد نظرها ستتمكن من شرح لها سبب هذا العداء وهذا الشيء الغير مفهوم بينها وبين جارها العدائي. شيء ما كان يزعجها لكنها لم تدرك كنهه.

استلقت على الكنبة وضوء المساء ينير المكان وأخذت تفكر بما حدث معها هذا اليوم وفجأة ضربت رأسها بيدها وأدركت فجأة وبذهول سبب انزعاجها الغامض لقد سألها: «وهل هي عارضة أزياء أيضاً؟» كيف عرف ما هي مهنتها؟ هي لم تخبر أحداً بذلك! انها متأكدة من ذلك! رفعت الغطاء حولها بعناية وأدركت أنه كلما وصلت كارمن بسرعة كلما كان أفضل فهي ودون أن تعرف السبب، بدأت تشعر بالخوف من روبرتو ستافرو هذا.

استيقظت ناتاشا صباح اليوم التالي على زعيق المنبه فنهضت من النوم. اغتسلت وارتدت بنطالاً من الجينز وبلوزة صوفية بيضاء ونزلت لشراء حاجياتها من القرية وللاتصال بكارمن. النهار كان رائعاً والجمال الطبيعي في الخارج كان أكثر من الروعة ذاتها تنشقت ناتاشا الهواء المنعش وابتسمت للمرأتين الجالستين قرب المتجر وهي بطريقها الى كشك الهاتف لا شك أنهما تعرفان اسمها ومكان اقامتها الآن وهذا بعكس ما يحدث في روما حيث الكل مشغول بنفسه ومصالحه الخاصة فقط.

شعرت ناتاشا بالخيبة حين أدركت أن صديقتها لن تصل الا بعد أربعة أيام لكنها قالت لها بابتسام: «لا بأس سيعطيني هذا الوقت الكافي لتحضير كل شيء لك، ولا تنسي احضار جهاز الستيريو معك».

«لن أنسى. كيف تتدبرين أمر الاضاءة؟».

«لم أحتاج للضوء ليلة البارحة، لكن هناك مصباح زيت في المطبخ. أنا بطريقي الى المتجر الآن. ادعي لي أن يكون عندهم بعض الزيت».

ضحكت كارمن وقالت: «سأفعل. أنا أتشوق للمجيء اليك ناتاشا. كيف هي الأمور.. مع جارك أقصد؟».

«روبرتو ستافرو؟ لقد فتح لي باب المنزل ليلة البارحة.. القفل كان عالقاً، انه يصيبني بالجنون كارمن، بمجرد تصرفاته وطريقته بالتكلم صدقيني».

«يبدو هذا ممتعاً.. لا أستطيع الانتظار للقائه. علينا التمحيص بشأنه حين أصل ناتاشا، فلا تقلقي».

للحظة شعرت ناتاشا بالرغبة لاطلاع صديقتها عما يقض مضجعها من معرفته لعملها لكنها حافظت على صمتها مصممة أن تكتشف الأمر بنفسها وأن تنتظر وصول كارمن الى الجزيرة حتى تخبرها عن ذلك.

دخلت المتجر بعد المكالمة وتنفست الصعداء حين وجدت المتجر يحتوي على كل حاجياتها. حتى أن السيد مارتن صاحب المتجر عرض عليها ايصال قارورة الغاز بالاضافة الى زجاجة الزيت وكل مشترياتها الى منزلها لاحقاً. لكنها فضلت نقل المشتريات الأساسية بنفسها على أن يوصل السيد مارتن القارورة والزيت لاحقاً.

قطعت مسافة لا بأس بها حين شعرت ناتاشا بثقل الكيس الذي تحمله وتمنت لو أنها طلبت من السيد مارتن نقل كل الأشياء الى منزلها لاحقاً. لكنها تذكرت أنها بحاجة لترتيب كل مشترياتها كل بمكانه فهي تشعر أن هذا المنزل هو منزلها الحقيقي وعليها التأكد من ترتيب كل شيء بنفسها.

سمعت صوت محرك سيارة خلفها وأنبأها حدسها أنه رانج روفر جارها العتيد ولهذا فقد تابعت سيرها بتصميم حتى لا تعطيه أي دليل أنها تتمنى توصيلة. لأنها لا ترغب بذلك فعلاً.. وهو بالطبع لن يعرض عليها ذلك الآن وهي بمفردها..

«من الأفضل لك الصعود الى السيارة» قال وهو ينحني عبر النافذة ومحركه يهدد للتوقف المفاجيء.

نظرت ناتاشا اليه ثم دارت وصعدت الى جانبه.

تناول منها صندوق المشتريات ووضعه في الخلف.

«شكراً لك» شكرته.

لم يتفوه بشيء وتساءلت ناتاشا عن مكان غيابه فقد استيقظت هي في الثامنة ولم تسمع صوت رانجه يبتعد والساعة الآن تقارب الثانية عشرة. هي لن تسأله عن ذلك بالطبع لكنها ستسأله عن شيء آخر.

انتظرت حتى وصلا وحمل هو صندوق المشتريات وسار متجهاً نحو الباب وسألت: «شكراً لك على التوصيلة، من فضلك أخبرني شيء واحد. كيف عرفت أنني عارضة أزياء؟».

ظهره كان لها ولم يجيب بشيء حتى وضع الصندوق على عتبتها: «من الأفضل أن تعطيني المفتاح الآن. كيف عرفت أنك عارضة أزياء؟» بدا متسلياً: «ألست كذلك؟».

«بلى.. لكن لم أخبر أحداً وخاصة أنت..».

«لم يكن من حاجة لذلك. فالأمر واضح من على بعد أميال. أنت تمشين بطريقة مختلفة.. تبدين بشكل مختلف... الأمر واضح.. هذا كل شيء».

شعرت ناتاشا بالعجز. هي لا تصدقه.. لا تعرف لماذا.. لكن قلبها انتفض بسرعة لأنها لا تستطيع تحديه الا بنعته بالكذب. وكادت أن تنطق بذلك الا أنها كبتت لسانها. نظرت الى عيونه

القاسية الباردة وشعرت بغرابة انه يستطيع قراءة أفكارها. فأحنت رأسها فوراً وتناولت المفتاح من حقيبتها.

«عليك تعلم فتح الباب بنفسك. والا فماذا تفعلين حين لا أكون بالجوار؟».

«اذن دعني أجرّب ذلك الآن. والا فإنني لن أعرف أبداً اليس كذلك؟» ومدت يدها لتستعيد مفتاحها منه. شيء غريب حدث حين تلامست أصابعها وكست ناتاشا صدمة مفاجئة. أبعدت ناتاشا يدها فوراً وتحركت نحو الباب. وبدأ هو يضحك فنظرت اليه سريعاً.

«لا تقولي لي أنني أخيفك؟» سأل وفمه يبتسم لكن عيونه لم تكن كذلك. كانت عيونه داكنة ومراقبة.

هزت ناتاشا رأسها وقالت: «لا تكن سخيفاً! ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟».

لكنه كان قريباً جداً للحقيقة مما زاد من توترها وقلقها.

وصل السيد مارتن صباح اليوم التالي وأحضر لها بقية أغراضها وعلمها طريقة تحبير المصباح وجلس لتناول الشاي والبسكويت وفقاً لطلبها الصادق.

«من الجيد أن يكون لك جار قريب» قال السيد مارتن اللطيف والودي: «جارك رجل غريب دون شك».

«ملعقة سكر؟».

«نصف ملعقة فقط من فضلك» رد ثم تابع: «تعرفين انه ليس من مواطني الجزيرة».

«حقاً؟ لكني اعتقدته كذلك» قالت ناتاشا وهي تشعر بالفضول لمعرفة ما يمكنها معرفته عن جارها المغيظ والمحير.

«كلا، انه يسكن هنا منذ عدة سنوات فقط. أعتقد انه قد حضر من جزيرة قريبة ما. هو لا يتكلم عن نفسه أبداً» قال وهز رأسه وهو يشعل

غليونه وكأنه يجد هكذا أمر بالغ الغرابة.

«انه يكتب كتاباً عن الطيور» علقت ناتاشا.

«أجل، هذا ما يقوله. هذا مثير جداً. هناك العديد من الطيور المتنوعة هنا على الجنة الأرضية هذه. أجل سيكون من الممتع مطالعة هذا الكتاب اذا ما نُشر فعلاً».

شيء ما بتعابيره جعل ناتاشا تسأل: «ماذا تقصد؟».

«لقد مضى عليه وقت طويل بكتابة هذا الكتاب. الله يعلم متى سينتهي من الكتابة!».

«لربما هذا النوع من الكتب يستغرق وقتاً طويلاً».

«دون شك. دون شك. أنا ما أدراني! عنده كاميرا رائعة! آه لو كان عندي مثل تلك الكاميرا لما توانيت عن التقاط الصور طوال النهار والليل. انها تحتاج لأفلام خاصة أوصي له عليها من خارج الجزيرة. لا شك انه يحتاج للكثير من الصور لهذا الكتاب».

نظر الى ساعته وتابع: «حسناً، من الأفضل أن أرحل الآن. زوجتي ستكون بانتظاري الآن. لا تنسي انسة كليو، تسرني زيارتك للمتجر كلما نزلت الى القرية حتى ولو لم تكوني بحاجة لشيء سنكتفي باحتساء الشاي وبتصرفك على ماريا زوجتي».

«أود ذلك فعلاً. شكراً لك».

ودعته ناتاشا وراقبته يبتعد بشاحنته القديمة وهو يلوح لها بابتسام. كلماته لم تكن غامضة تماماً لكن طريقة لفظه لها هو ما أثار فضول ناتاشا وكذلك قلقها.

وتساءلت مجدداً عما تفعله كارمن بشأن روبرتو ستافرو حين تصل!.

صباح اليوم التالي كان يوم عمل منزلي كامل لناتاشا التي نظرت الى نفسها بابتسام وهي تهتم بشؤون التنظيف لربما للمرة الأولى منذ

سنوات وسنوات. فهي تقطن بشقة في روما لا تدخلها الا للنوم ولحفظ ممتلكاتها بداخلها وهناك امرأة تأتي لتنظيفها مرتين كل اسبوع. هنا تشعر ناتاشا انها بمنزلها فعلاً الآن وبعد أن أصبح دافىء، نظيف ومحبب، ثم أنزلت الستائر وغسلتها وابتسمت بسعادة حين أعادتها الى مكانها وظهر لونها الذهبي الجميل والمناسب مع الأثاث.

كانت ناتاشا تنتظر وصول صديقتها صباح اليوم التالي بفارغ الصبر ولربما لهذا لم تتمكن من النوم، فنهضت من سريرها ونزلت لتحضر لنفسها القهوة الساعة تعلن الواحدة بعد منتصف الليل. لم تحتاج ناتاشا لإضاءة الأنوار لأن ضوء القمر كان ساطعاً ولم تكن ستائر المطبخ مغلقة ولهذا فقد تمكنت ناتاشا من رؤية باحة صديقة جارها بوضوح ذهلت ناتاشا حين استرعى انتباهها مرور أحدهم من جانب نافذتها بطريق توجهه الى الشاطىء. حدقت النظر جيداً ووجدت أن الشخص هو روبرتو ستافرو نفسه فسارعت للصعود الى غرفة النوم المطلة على الشاطىء وشاهدته فعلاً، والكاميرا حول رقبته، يستقل قاربه الصغير الراسي على الشاطىء ويبتعد داخل البحر.

اذن فلربما هو يخرج للصيد ليلاً، لكن شيئاً ما بتحركاته كان يوحي بالسرية والغموض وهذا ما أثار حفيظة ناتاشا وانتظرت بصبر فارغ وصول صديقتها لحل هذا اللغز الغامض.

عادت ناتاشا للنوم والأفكار المتضاربة تدور بعقلها ونهضت في الصباح وشعور الانزعاج لا يزال يعتريها. نزلت الى المطبخ وتذكرت ما شاهدته ليلة البارحة ووجدت أن القارب لم يَعُد الى مكانه بعد فأدركت أنه لا يزال خارج منزله. قطبت قليلاً ثم سارعت لتناول الفطور فكارمن دون شك بطريقها الى الجزيرة الآن. ستصل الآن. ستصل حالاً وحينها لن يكون أي شيء غامض.

انتهت من تناول فطورها وكانت تشرب القهوة حين سمعت جرس الباب يرن. للحظة تخيلت أن كارمن هي الزائرة! لكن هذا كان مستحيلاً فالوقت لا يزال مبكراً جداً!.

روبرتو ستافرو كان الزائر وبيده سمكة ضخمة: «مرحباً» قال: «اعتقدت انك ستحبين طهي هذه السمكة على الغداء. كنت برحلة صيد وقد عدت للتو».

«تفضل» قالت وتنحت لتسمح له بالدخول.

«ستصل صديقتك اليوم صحيح؟».

«أجل. شكراً لك على السمكة. ما ـ ما هو نوعها؟».

«ماكريل. طعمها لذيذ جداً بالقلي. تعرفين كيف تحشينها اليس كذلك؟».

«في الواقع لا. لم يسبق لي وأن حاولت ذلك. لكني واثقة ان بإمكاني تدبر الأمر».

«من الأفضل اذن أن أطبخها لك أليس كذلك؟» قال وهو يسير بخطواته الى المطبخ وهي تتبعه. سيلاحظ الفرق هناك أيضاً فقد قضت النهار السابق بأكمله وهي تلمع الأواني والأرضية والمجلى لكن اذا ما لاحظ ذلك فهو لم يعلق بشيء بل وضع السمكة في المجلى وقال:

«اتني بسكينة حادة من فضلك».

«تفضل» قالت.

«هذه لا تنفع، سأستعمل سكينتي».

انحنى وتناول من حزام حول ساقه سكينة ضخمة التمع نصلها بشدة تحت ضوء الشمس وابتلعت ناتاشا ريقها بصعوبة.

«هذه سكينتي» قال: «حادة كفاية لتقطع حتى الشعرة الى قسمين».

«أنا أصدقك. لكن اليس من الخطورة ـ وضعها هناك؟» وأشارت الى ساقه.

«انها داخل جعبتها ـ لقد ربحتها بمباراة في الجزيرة...» ابتسم متابعاً: «انها ممتازة».

«سأحضر الصينية» قالت مغيرة الحديث: «أترغب بشرب القهوة؟ انها جاهزة!».

«أجل، لكن بدون سكر لو سمحت».

صبت له الفنجان وراقبته وهو يعمل بمهارة ويقطع السمكة الى أجزاء متساوية بعد أن أزال قشرتها وعامودها الفقري. كان قد عاد للتو من البحر ولا شك أن الطقس كان بارداً هناك لأنه كان يرتدي سترة صوفية فوق بلوزته الزرقاء والجينز الأسود وحذاء البحر. شعره كان بحاجة للتسريح وذقنه بحاجة للحلاقة وفجأة تساءلت ناتاشا عما سيكون شعورها لو أنه قام بتقبيلها وهو على هذه الحالة. سارعت بإبعاد نظرها بسرعة البرق حتى لا ينتبه لهذه الفكرة السخيفة والمجنونة التي خطرت ببالها.

صبت لنفسها القهوة لتتشاغل عن فكرتها المجنونة هذه.

«لقد انتهينا. أتملكين صحيفة قديمة؟».

«انتظر عندي صحيفة البارحة» قالت وسارعت بإحضارها.

لف العظام والقشور بالصحيفة ورماها بسلة المهملات.

«شكراً لك. تبدو لذيذة الطعم» قالت وهي تضع قطع اللحم الأبيض في الصحن.

«اغمسيها بالطحين ثم اقليها فوراً».

«أجل. سأشتري بعض الطحين الاضافي حين أنزل لأستبقل كارمن».

انحنى على المجلى وهو يتجرع قهوته وسألها: «وما الذي

ستفعلينه خلال ـ كم قلت انك ستبقين هنا؟».

«المدة التي أريد. لماذا؟».

«ستشعرين بالسأم سريعاً هنا. ليس هناك الكثير للقيام به بالنسبة لفتاة من المدينة مثلك. وأيضاً ألن يحتاجون اليك بعملك؟».

«أنا أعمل بدوام يومي. أنا لا أسأم بسهولة ولست واثقة مما تقصده بقولك فتاة من المدينة، سيد ستافرو» قالت وهي تنهض عن كرسيها بقامتها الهيفاء وجمالها الجذاب.

«آه» تأوه: «انها تطلق الشرارات حين تكونين غاضبة. أتعرفين ذلك؟».

«ما هي؟».

«عيناك، يا الهي، لن أرغب بأن أكون على طريقك حين تكونين حانقة».

أخذت ناتاشا نفساً عميقاً. كان هذا سخيفاً. لقد مضى على وجوده داخل المنزل خمس دقائق فقط وقد بدءا بشكل متحضر ولائق وها هما الآن على وشك المشاجرة.

«انت بارع بالإهانة. ألم يخبرك أحد بذلك من قبل؟».

«لا أعتقد ذلك ـ ما الذي قلته واعتبرته إهانة لك؟».

«لا شك انك تمزح! انها اهانة مطولة منذ لحظة وصولي الى هنا. حتى قبل أن أقابلك، قيل لي «الشاب روبرتو لن يحب هذا»، وفكرت من هو بحق السماء روبرتو هذا ـ ثم قابلتك وكانتا على حق ـ انت لم تحب ذلك، وقد أوضحت ذلك بكل وسيلة ـ ودعني أخبرك بهذا أيها الشاب روبرتو ستافرو، هذا هو منزلي وسأبقى هنا للمدة التي أريد وأرغب سواء أناسبك ذلك أم لم يناسبك» وطأطأت برأسها للتأكيد وأخذت نفساً عميقاً.

صفر روبرتو وتوسع فمه بابتسام وقال: «يا الله! يا له من مزاج!

هل انتهيت؟ هل أستطيع التكلم الآن؟».

«لا أتصور انك تترك أي شيء يمنعك من التكلم اذا ما أردت ذلك».

«اذن سأخبرك أنا بشيء ما. حين توفي عمك كتبت رسالة الى المحامي أطلب منه شرائي لهذا المنزل. رد الأخير بقوله أن المالك الجديد ينوي المجيء سريعاً وأنني سأتمكن من مناقشة مسألة البيع معه شخصياً. حدث هذا قبل سنتين ـ من العار ترك هكذا منزل جميل للعفن والغبار ـ لكن هذا ما فعلته بالضبط اليس كذلك؟ وأستطيع القول انك سترحلين مجدداً فور انتهاء عطلتك وكم ستطول مدة الغيبة هذه المرة؟ ـ ثلاث سنوات أربع سنوات؟».

ظلت ناتاشا صامتة. وتذكرت أن المحامي أخبرها عن عرض لشراء المنزل لكنها فعلاً أخبرته أنها ستجيء لزيارة المنزل عما قريب. سمعته يتابع برقة:

«ماذا؟ هل أكلت القطة لسانك؟».

«كلا، لكني لست مضطرة لشرح أفعالي لك»

«هذا صحيح. لست مضطرة على ذلك. وهل قلت عكس ذلك؟».

«على كل حال، ما الذي تريده من امتلاك منزلين؟ تستطيع أن تعيش بمنزل واحد فقط» وابتسمت بانتصار.

«أعرف هذا. لكن غالباً ما يأتي بعض الأصدقاء لزيارتي. هذه المنازل بالغة الصغر. أنا بحاجة لمساحة أكبر، هذا كل شيء. وكان ليصبح مستعملاً» برقت عيونه الرمادية وكأنه يتحداها لمتابعة هذا النقاش.

«أنا واثقة ان عندك الكثير من الأعمال» قالت بهدوء وهي تنظر الى فنجان قهوته: «لأن عندي الكثير بدوري قبل وصول صديقتي».

«ومن الأفضل أن أغادر؟ نقطة جيدة» قال وأنهى محتويات فنجانه تحت الحنفية وغسله ثم غسل سكينه وأعادها الى مكانها.

«فبعد كل شيء نحن لن نرغب بالعراك أليس كذلك؟» عيونه البراقة حجزت نظرتها بغموض داكن وتابع: «ليس ونحن جيران».

«لا يبدو انك تبلى سيئاً بهذا حتى الآن» ردت وهي تدرك تماماً أن عليها الاحتفاظ بالصمت وتركه يغادر ويبتعد لكنها لم تتمكن من منع نفسها من التفوه بهذه الكلمات نظراً لتأثيره القريب عليها...

فعل شيئاً غريباً ومذهلاً الآن، فقد مد يده ولامس بشرة خدها الرقيقة وضحك بنعومة قائلاً: «انت على كل حال معارض يستحق المبارزة».

أبعدت ناتاشا يده عن وجهها بحدة وصاحت: «لا تلمسني».

«همم، بشرة رقيقة وجميلة. اعتني بها جيداً. الرياح تفعل الأعاجيب بها بهذه الانحاء. انت لن ترغبي بالعودة الى روما بندبات على بشرتك أليس كذلك؟» كان يضحك عليها: «هذا لن ينفعك مطلقاً ـ ليس بعملك بالذات....».

«اخرج فوراً» صاحت وهي ترفع قبضتها بتهديد. آه، فقط لو بإمكانها أن تصفعه.

«أنا خارج أيتها القطة الجهنمية. هل صديقتك هذه مثلك؟».

«اخرج فـ...».

«لقد سمعتك من المرة الأولى. اخرج فوراً. أجل أنا خارج. لكن أولاً...» توقف ولم تدرك ما الذي كان يقصده.

ما كانت لتتصور ما الذي سيحدث ولو بعد ألف عام فقد أحنى روبرتو رأسه. وضع ذراعيه على كتفيها وأخذ بفمه شفاهها.

كانت مذهولة تماماً لتتمكن من التحرك، من المقاومة. من فعل أي شيء. هي ظلت واقفة مكانها تاركة اياه يقبلها. ثم رحل. تحرك

نحو غرفة الجلوس وفتح الباب ثم قال:

«هذا من أجل السمكة» وابتعد وصدى ضحكاته ترن بأذنيها.

رفعت ناتاشا يداها الى فمها. انها لا تزال ترتعش. لقد تساءلت للحظات عن شعورها لو أن روبرتو ستافرو قبلها وها هي تعيش هذا الشعور الآن ـ شعور قاسي، مزعج وغير رقيق. لكنه لا يشبه اي شعور اخر سبق ومرت به. ولكم يتحرك بسرعة حين ينوي ذلك!! أثر فمه كان لا يزال على شفاهها الندية ـ ثم انفجرت ناتاشا بالضحك. يا له من غريب الاطوار! ويا له من شيء لإخبار كارمن به! شيء واحد كان مؤكد ـ هو لن يفاجأها بعد الآن. أو هذا ما اعتقدته. زارت فلورا ولورا واشترت حاجياتها من المتجر ثم جلست على احدى صخور المرفأ بانتظار وصول كارمن والجمال الرائع وسحر الجزيرة يحيط بالمكان.

دقائق طوال وظهر قارب صغير من البعيد ثم وبعد وقت رأت ناتاشا صديقتها وهي تلوح لها من القارب وأخيراً وصلت كارمن وبدأت فعلاً العطلة السعيدة المرجوة.

«طاب يومك آنسة كليو» قال بيتر بابتسام: «ها قد وصلنا أخيراً».

«طاب يومك بيتر» ردت ناتاشا ثم عانقت صديقتها ذات الشعر الأحمر المجعد والعيون الخضراء الواسعة.

«الحمد لله» صاحت كارمن: «اليابسة أخيراً. تبدين بأفضل حال ناتاشا، لا شك أن هذا المكان يناسبك».

«انتظري حتى يمضي عليك بعض الوقت هنا. أنا آكل كالحصان ـ صدقاً، بدأت أقلق لذلك».

«همم» رددت كارمن وهي تتفحص صديقتها: «لم تكوني تأكلي كفايتك في السابق. حسب رأيي. ولهذا فالتعيس جزيرة مارغريتا. يا الهي! التحدث عن الطعام يزيد من تضوري».

«الطعام جاهز وستلتهمين أصابعك معه!» رددت ناتاشا بضحك.

جالت كارمن بنظرها حولها وقالت: «أتعرفين أحب المكان هنا ـ انه كما تصورته تماماً. كيف هو المنزل؟».

«انتظري وسترين ـ لقد أصبت بالصدمة حين رأيته للمرة الأولى ـ لكني أظنه قد تحسن الآن».

«انت أيضاً مختلفة ـ لا أعرف كيف. أو بأية طريقة، لكنك مختلفة».

«بظرف أربعة أيام فقط؟ هذا مستحيل».

«كلا، أنا أقصد ما قلته بالفعل» قالت كارمن وشاركت ناتاشا الضحك.

عرض السيد مارتن عليهما ايصالهما بسيارته وهذا ما فعله بعد أن سلم ناتاشا بريدها، بوصفه ساعي بريد القرية أيضاً، وكان عبارة عن ثلاثة رسائل ميزت ناتاشا خط مارك بإحداها وأودعت الجميع داخل الحقيبة، فسيكون عندها الوقت الكافي للقراءة لاحقاً.

انزلهما السيد مارتن على أول الطريق وسارتا بخطوات قليلة ثم أشارت كارمن الى المنزل الأول وسألت:

«هل هذا هو منزل الجار المرعب؟».

«أجل ها هي سيارته الرانج. لا شك أنه بالداخل. أراهن أنه يراقبنا».

«همم. أنا متشوقة جداً لملاقاته» قالت كارمن.

«وعندي الكثير الكثير لأطلعك عليه. صدقيني».

«طالما أن بإمكاننا التحدث ونحن نتناول الطعام. صدقاً ناني لا شك أن السُّر بالهواء أو بشيء آخر هنا. أنا أتضور جوعاً».

«ها قد وصلنا» قالت ناتاشا وفتحت الباب وراقبت وجه صديقتها وهي تدخل المكان.

«آه، ناني! يا له من مكان صغير جميل!».

النار داخل الموقدة كانت تطلق شراراتها الصفراء والبرتقالية. الاثاث كان يلمع بخفة والشمس تتسلل بأشعتها عبر الستائر الحريرية وبدت الغرفة وكأنها ترحب بهما بحب ومودة.

كان عليك أن تشاهديها حين وصلت للمرة الأولى. غرق قلبي بين ضلوعي حين رأيتها بحالتها المزرية».

«أنا أصدقك. لا شك انك قد عملت بجد ـ لكم كنت أتمنى لو انني قد شاهدت ذلك».

«لا تكوني شريرة! أتعرفين؟ لقد استمتعت بأعمال التنظيف والترتيب. ما كنت أتصور للحظة انني سأستمتع يوماً بالأعمال المنزلية، لكن تشعرين بمزيج من السعادة والرضى حين ترين الألوان تنبثق من العتمة ـ وهناك شيء اخر» قطبت ناتاشا بتفكير وتابعت: «لقد أدركت للتو انني أردت أن أبرهن لروبرتو ستافرو نقطة ما ـ كانت عنده نظرة متعالية حين رأى وجهي للمرة الأولى كأنه كان يقول: «أراهن انها انثى بلا فائدة ولا قيمة» وبدا الأمر وكأنه تحدي ـ هيا تعالي الآن. سنأكل وسأخبرك كل شيء عنه ـ وصدقيني هناك الكثير ليقال».

كانت قد احتفظت بالسمكة للعشاء نظراً لأنها قد حضرت الغداء قبل وصوله. ولهذا فقد فتحت الفرن وتناولت طبق الخضار واللحمة برائحته الذكية ووضعته أمام صديقتها على طاولة المطبخ.

«لا أصدق هذا! لم أعرف من قبل انك ماهرة بالطبخ» هتفت كارمن بدهشة.

«انتبهي كارمن. ملاحظة أخرى من هذا النوع وستجدين نفسك على أول قارب عائد الى روما».

انفجرتا بالضحك وتناولت كارمن شوكتها وقالت: «حسناً. أنا

آكل وأنت تتكلمي».

وبدأت ناتاشا بسرد ما حدث لها منذ لحظة وصولها الى الجزيرة ثم الى ما حدث لها مع روبرتو ستافرو في الصباح...

«... ثم حينها...» توقفت بشكل درامي ثم برقت عيونها بمرح وهي تحدق بصديقتها.

«أجل، أجل. ثم ماذا؟ تابعي ناني!» حثتها كارمن وهي تتوقف عن الطعام.

«ثم أمسك بي و... قبلني».

ساد صمت كامل ورفعت ناتاشا نظرها الى صديقتها التي كانت تبتسم ببطء.

«جميل. جميل جداً! لا أتوق الانتظار لرؤيته».

«كان عليك رؤية وجهك! لقد أخبرتك ـ انه مريع. رجل مغيظ ـ ثم وليختم الموضوع قال وهو يغادر: «هذا من أجل السمكة» كنت لأرميه بشيء ما ـ لكن كان قد ابتعد».

«همم، هو يعرف كيف يختم مغادرته أيضاً. هل انت واثقة انه يريدك ان ترحلي؟ يبدو وكأنه معجب بك...».

«مطلقاً! بعد كل ما أخبرتك به؟ انت تمزحين دون شك. عندي شعور أنه ينوي لي الشر ـ لكني لا أعرف ما ينويه بالضبط. لا يمكن أن يكون مهرباً اليس كذلك؟».

«آه، ناني! كنت تقرأين الكثير من قصص المغامرات؟».

«حسناً، كان هناك شيء ما بما قاله السيد مارتن حول تأليفه لكتابه. وكنت داخل منزله لبعض الوقت. لا شك من وجود شيء ما هناك ـ أوراق، صور، آلة كاتبة؟».

«عنده غرفتا نوم صحيح؟ أراهن أنه يستعمل احداها كمكتب».

«انت عملانية جداً. ليس عندك حس الخيال مطلقاً».

«فقط واقعية يا حبي. الناس لا تسكن قرب المهربين والجواسيس أو ما شابه. دعيني أراه وسأخبرك حينها عما أعتقده».

«على كل حال، دعينا من موضوع روبرتو ستافرو الآن. أنا مسرورة جداً لقدومك. سنحظى بوقت رائع. أشعر بذلك بأعماقي. وعليك اطلاعي على كل شيء بشأن زوجك وعمله الجديد».

صنعت ناتاشا الشاي وانتقلتها الى غرفة الجلوس لاحتساء الشاي. انتقلتا للتنزه بعد ذلك وعلقت كارمن حين رأت ناتاشا تحمل العصى.

«أتصابين بالعجز يا حبي؟».

«انها للطيور» أوضحت: «للطيور هنا عادات سيئة، كهجومها على الناس أحياناً».

«لا أصدق ذلك» ردت كارمن بضحك.

«لست واثقة من ذلك أنا نفسي، لكن سنكتشف ذلك بأنفسنا الآن هيا بنا».

انطلقتا بين الجمال الطبيعي الساحر والهواء العليل يداعب وجهيهما برقة.

لحظات ووضعت كارمن يدها على ذراع ناتاشا وهمست:

«انظري هناك ـ كنت أتمنى لو أنني أحضرت الكاميرا! لماذا لم تذكريني بذلك؟».

نظرت ناتاشا وشهقت بروعة المنظر الأحصنة المتعددة التي كانت ترعى في الأسفل بكل روعة وسحر.

«آه، اليس هذا رائعا».

«سيهربون اذا ما اقتربنا أكثر ـ آه. أحدهم يراقبنا الآن وهو يستعد للهروب مع أصدقائه».

ثم شاهدوا كوخاً رائعاً على الشاطىء بقرميده الأحمر وشبابيكه

الخضراء.

«آه، ناني! لم أدرك مدى روعة هذا المكان الا الآن».

«ولا أنا أيضاً! كنت لأقوم بالنزهات قبل هذا الوقت لو كنت أعرف ذلك. بإمكانك الارتقاء هنا ـ لا يمكنك فعل ذلك في روما».

«ومارك؟ هل تغلبت على محنتك معه؟».

«مارك؟ لقد تلقيت رسالة منه. لقد نسيت».

«لقد أجبت على سؤالي يا حبي. كلا آسفة، ما كان علي أن أسأل. انت لا تتخطين مسألة فسخ الخطوبة بظرف أيام فقط...».

«لكني قد نسيت فعلاً الا ترين؟» ردت ناتاشا بصدق وغرابة: «ما كنت أعتقد أن هذا ممكناً. كل آلام الأسابيع السابقة ـ لقد انتهيت من الموضوع بأكمله وأنا في روما...».

«لا تكترثي. ستقرأين الرسالة حين تعودين الى هناك وسأقوم أنا الآن بترتيب حاجياتي بمكانها» قالت كارمن وهي تغير الموضوع: «أين سأنام؟».

«هناك سريرين في الغرفة الخلفية الصغيرة. لقد نظفت كل الاسرة وبدلت الأغطية».

«جيد، ما هي أحوال المياه الساخنة؟».

«آه، انها جيدة. وهي دائماً متواجدة».

«ممتاز. كالمنزل تماماً» رددت كارمن بسعادة.

كانا بطريق عودتهما الى المنزل حين مرا بجانب أحد المنازل حيث خرجت امرأة بلباس تقليدي ولوحت لهما بترحيب.

«انها تلوح لنا دون شك» قالت ناتاشا.

«ولكنها لا تعرفنا».

ضحكت ناتاشا لمعرفتها حتى الآن لطبيعة أهل الجزيرة.

«أهلاً، أهلاً بكما. هلا اسعدتموني بتناول الشاي معي؟» سألت

المرأة بوجه يبتسم: «لقد شاهدتكما وأنتما تقتربان، تفضلا».

«شكراً سنفعل» قالت ناتاشا بمودة.

وفور دخولهما أشرق وجه المرأة مجدداً وهي تنظر من النافذة بعد جلوسهما.

«آه يبدو هذا يوم سعدي! المزيد من الزوار ها هو روبرتو ستافرو سأدعوه للدخول، عن اذنكم للحظات».

«لا أصدق هذا» تمتمت ناتاشا فور مغادرة المرأة العجوز.

«يبدو انها الحقيقة. ولهذا فمن الأفضل لو تمسحي نظرة المعركة هذه عن وجهك».

سمعا صوت الباب يفتح، صوت روبرتو العميق ثم صوت المرأة العجوز. ثم دخل. واستشعرت ناتاشا رفة خائفة داخل قلبها حين رأته عيناها. كان يحمل سمكة متوسطة الحجم وكان يتوقع رؤية أحد ما ـ لكنه بالطبع لم يتوقع رؤيتهما ـ فقد ظهرت الدهشة التامة على ملامحه للحظات قبل أن تتلاشى.

«مرحباً» قال ونظر اليهما. استدارت ناتاشا نحو كارمن وقالت ببرود: «كارمن هذا هو السيد ستافرو، جاري ـ السيدة روبرتس».

راقبتهم وهما يتصافحان ويتبادلان كلمات الترحيب المعتادة وغلي داخلها السؤال الصامت: «أتساءل عن رأي كارمن به؟».

«آه، انتما تعرفن بعضكما البعض. يا للروعة» تمتمت المرأة العجوز بسعادة.

«أجل سيدة بيارز نحن جيران، على الأقل الآنسة كليو وأنا» أوضح روبرتو للسيدة المضيفة وهو يبتسم لناتاشا: «لقد أحضرت لك هذه السمكة ـ هل أدخلها الى المطبخ وأنظفها لك؟».

«يا للطفك روبرتو. كنت آمل أن تقول ذلك. أجل من فضلك وسأصنع بعض الشاي لك. لقد وصلت بالوقت الملائم تماماً...».

وتلاشت أصواتهما وهما يدخلان المطبخ وأدارت كارمن وجهها فوراً الى ناتاشا وصفرت بخفة.

«ماذا؟» همست ناتاشا.

«انه ضخم، اليس كذلك؟» تمتمت وشفاهها ترتعش لمقاومتها للضحك: «من الممتع أن يقبلك رجل مثل...».

«صه» همست ناتاشا برعب مخافة أن يسمع ما تتفوه به صديقتها

«آه، انه ينظف السمكة لي» قالت السيدة بيارز التي وصلت وهي تحمل صينية الشاي: «لن يتأخر».

كارمن التي أحست دون شك بذعر ناتاشا أخذت زمام المحادثة وسألت: «هل تقطنين بمفردك هنا، سيدة بيارز؟».

«عندي ابني طوماس الذي يأتي لزيارتي كلما استطاع من عمله في...».

«لقد تم كل شيء، لقد وضعت السمكة في البراد» جاء صوت روبرتو مقاطعاً جملة المرأة العجوز، ولسبب ما شعرت ناتاشا أنه قد تعمد الدخول عند هذه النقطة وكأنه يرغب بمقاطعة السيدة بيارز عن قصد. وتابع: «هل أصب الشاي الآن؟».

«وهل سأدعك تصبه لنفسك بعد كل ما فعلت؟ تفضل بالجلوس وتحدث مع هاتين السيدتين وسأحضر أنا لك الشاي».

«ابن السيدة بيارز يعمل في جزيرة أخرى ويأتي لزيارة والدته كلما استطاع» قال بلطف.

«آه، وما هو عمله؟» سألت ناتاشا باهتمام الآن.

هز كتفيه وقال: «عمل مكتبي ما بإحدى الشركات الأميركية. المتخصصة بمسائل النفط على ما أظن. وما هو رأيك بمارغريتا سيدة روبرتس؟».

ابتسمت كارمن له وقالت: «أنا أحبها كثيراً. هناك جو مسالم رائع

يتناقض تماماً مع الحياة في روما الصاخبة. هل تسكن هنا منذ فترة طويلة؟».

«منذ بضعة سنوات. أنا أؤلف كتاباً حول الطيور هنا».

«حقاً؟ يا للروعة» هتفت كارمن باستمتاع وحماس كان ليخدع حتى ناتاشا لولا أنها كانت تعرف أن صديقتها لا تهتم مقدار ذرة بالمخلوقات ذات الأجنحة: «أتوقع تواجد العديد من الأنواع هنا؟».

«آه أجل، المئات».

«والى أي حد وصلت بكتابك حتى الآن؟».

«لقد قطعت شوطاً لا بأس به. بالطبع التأليف يتطلب الكثير من الأبحاث وهناك مركز لأحد الطيور على الجزيرة القريبة. لكن عليك أن تكون نافذة الصبر لالتقاط الصور لها ببيئتها الطبيعية. فهي تمتعض من الغرباء. وأنا لا أستطيع لومهم على ذلك» ورمى بنظرة سريعة نحو ناتاشا وابتسم.

«وهل اتصلت بأحد الناشرين؟» سألت ببراءة مخادعة.

«لقد تحدثت مع أحد الأصدقاء في روما، لكنك تعرفين الناشرين.. انهم أشخاص مترددون معظم الأحيان. لا يرغبون بتوريط أنفسهم».

«آه، أجل أعرف» رددت كارمن بتفهم. «كنت معتادة على العمل لدى أحدهم قبل سنوات، قبل أن أتزوج. هل لي بمعرفة اسم صديقك هذا؟».

«في الواقع.. آه، شكراً لك!» قال للسيدة بيارز التي وصلت بالشاي. «أعتقد أنني أجلس على كرسيك سأجلس هناك اذن. هل لا يزال جهاز التلفزيون يعمل؟» سأل السيدة بيارز.

«آه، أجل انه ممتاز مذ أن أصلحته لي» وافقته بابتسام.

غادرت ناتاشا وصديقتها المنزل أخيراً وسارتا عن طريق

الشاطىء، روبرتو قد ترك قبلهم شاكراً المرأة على ضيافتها.

«حسناً؟» سألت كارمن الآن وهما تتوقفان.

«هل هذا كل ما بإمكانك قوله؟».

هزت كارمن رأسها: «لا أعرف من أين أبدأ.. لكني سأقول لك شيئاً محدداً. هناك شيء ما غامض حول هذا الرجل. هذا بالطبع ليس من صنع خيالك».

«اذن فلست متوهمة بعد كل شيء؟» قالت ناتاشا.

«لم أعتقد كذلك مطلقاً. كنت فقط أعتقدك تعتبرينه بشكل جدّي جداً.. الآن أنا لست واثقة من ذلك.. لكنه رغم ذلك رجل ساحر».

رمتها كارمن بنظرة عميقة وقالت: «آه هيا ناني! أنت لن تخدعيني.. تعرفين جيداً أنه كذلك فعلاً. آه، قد لاتحبينه أجل.. أستطيع تفهم ذلك لكنك لا تستطيعين تجاهله».

«بالكاد» وافقتها ناتاشا: «نظراً لحجمه الضخم».

«ليس هذا وحده السبب. هناك.. لا أعرف.. شيء ما بشأنه. لم أتوصل لسبر كنهه بعد، لكني سأفعل».

«وهل اعتراك الاحساس أنه ليس فقط لا يرغب بوجودنا بل انه يخفي أمراً ما أيضاً؟».

«حسناً..» بدأت كارمن بقلق: «كنت أتأكد من ذلك، ولهذا سألته عن كتابه كما سمعتي.. لم أكن واضحة القصد اليس كذلك؟».

ضحكت ناتاشا وقالت: «بالطبع لا! لقد كدت أن تخدعيني أنا نفسي ببراءة أسئلتك».

«الحمد لله. كنت لأكره أن يعتقد بي سوءاً. لكنه لم يخبرنا بالكثير صحيح؟».

«بالضبط. لم يخبرنا بشيء في الواقع. وهو يبدأ المواضيع بذكاء

بالغ حين يرغب بذلك».

«أجل هذا صحيح. خاصة حين بدأت السيدة بيارز تخبرنا عن ابنها».

«اذن فقد لاحظت هذه النقطة أيضاً؟» هتفت ناتاشا: «شعرت بغرابة هذا الأمر لكني لم أعرف سببه بفعل ذلك».

«ولا أنا بدوري. الا اذا كانا يعملان سوياً بعمل التهريب».

«آه، كارمن الشكر لله انك هنا. فكري بكوني.. بمفردي هنا وهو قربي يصيبني بالجنون! على الأقل سنحافظ على قوانا العقلية ونحن سوية. ولن أشعر بالخوف منه..».

«الخوف؟ لم تشعري بذلك فعلاً ناني صحيح؟».

«لا أعرف. مرة أو مرتين شعرت بأنني كذلك..» ترددت ثم تابعت بهدوء: «أجل لقد شعرت بالخوف منه فعلاً. تكون نظراته قاسية ومرعبة أحياناً.. لومضات لحظية فقط.. انه بلا شفقة بالرغم من تظاهره باللطف والرقة حين يتحدث مع العجائز أمثال السيدة بيارز والشقيقتين لورا وفلورا».

«لورا وفلورا؟».

«أجل ساخذك لزيارتهم غداً. انهما بالغتا اللطف والرقة ستحبينهما كارمن.. ألم تشعري بدورك أن عيونه.. آه..».

«تخترقك وتسبر أغوارك كأنها تقرأ أفكارك» أكملت كارمن له بتفكير.

«بالضبط كارمن. ولربما كان يتجسس علينا وعرف مكان توجهنا الى منزل السيدة بيارز» هتفت ناتاشا.

ضحكت كارمن وقالت: «كلا ناتاشا، ليس لهذه الدرجة وجرده بنفس المكان كان مجرد مصادفة. كلتانا منجرفتان كما يبدو بجارك هذا. يجب نسيانه كلياً الآن».

«موافقة» ردت ناتاشا.

«آه أنظري الى تلك البحيرة الطبيعية كأنها حوض سباحة مخصص للأطفال» قالت كارمن بمرح.

توقفت ناتاشا وصاحت فجأة: «آه، الآن عرفت. منذ وصولي الى هنا وأنا أشعر بنقص ما. انهم الأطفال! منذ وصولي لم أشاهد هنا طفلاً واحداً، ولا أحد. ولم أشاهد أيضاً أية فتيان أو فتيات. الجميع هنا عجوز ومتقدم بالسن».

«باستثناء واحد» علقت كارمن: «أم أنك قد نسيته؟».

«أجل لكنه ليس من المواطنين الأصليين.. لقد مضى عليه هنا عدة سنوات فقط. كل المواطنين من فوق الخمسين.. على الأقل».

طأطأت كارمن وقالت: «أنا لم أقابل الجميع بعد لكني أراهن أنك على حق. وهذا غريب فعلاً».

«المكان هنا يشبه.. يشبه دار العجزة» علقت ناتاشا: «هذا يشعرني بالاكتئاب فعلاً».

برقت عيون كارمن وهمست: «لم أكن أرغب بإطلاعك على ذلك الآن، لكن.. بما أنك مكتئبة!..».

«ماذا كارمن؟» سألت ناتاشا بحيرة وتوتر.

«أنا.. أنا.. أنتظر مولوداً..».

صاحت ناتاشا بسعادة وعانقت صديقتها وقالت: «ماذا؟ وبقيت صامتة حتى الآن أيتها الخبيثة!».

«لست متأكدة من ذلك بعد. لكني أشعر بذلك بداخلي وشعرت برغبة بإطلاعك علي ذلك الآن لا أعرف لماذا».

«يا للروعة. واسفة لسحبي لك الى هنا بهذه الطريقة سيكون عليك الآن تناول البيض والفاكهة واحتساء الحليب و..».

«أرجوك توقفي.. أنا قوية كالحصان» قاطعتها كارمن بضحك

«سأندم على اطلاعك على ذلك».

تتابعت ثرثراتهما عن هذا الموضوع وأبعدت ناتاشا روبرتو ستافرو عن أفكارها والانزعاج يوخزها لسكنه الدائم تقريباً لأفكارها تناولتا السمكة على العشاء وجلست كارمن وصديقتها قرب النار. الأولى لخط رسالة لزوجها والثانية لقراءة رسالة مارك.

كان ظهر ناتاشا لصديقتها وهي تفتح مغلف الرسالة. وتذكرت فجأة ذكرى لقاءها الأخير به وشجارهما حول انغماس كل منهما بالعمل واهماله للآخر. وتساءلت ناتاشا ان كانت تحب مارك فعلاً فقد قال لها ضمن المشاجرة أنها لا تحبه.

رفعت عيونها عن الورقة قبل أن تقرأها وسألت كارمن فجأة: «كارمن ما هو الحب؟».

نظرت صديقتها اليها بدهشة وقالت: «بحق السماء ناتاشا ما الأمر يا حبي؟ لماذا تطرحين هكذا سؤال؟ ما الذي قاله لك مارك؟».

«لا أعرف فأنا لم أقرأ رسالته بعد. وكنت أتساءل ان كنت فعلاً أشعر بالحب نحوه.. لقد كان جذاباً أجل وقد تسلينا بالفترة التي قضيناها سوياً لكن.. لكن شيئاً لم يكن عميقاً بيننا أنت تحبين جونو، وتعرفين هذا الشعور فأخبريني».

حدّقت كارمن بصديقتها وقالت بصوت حالم: «أن تحبي يعني أن تهتمي للشخص الآخر أكثر من اهتمامك بنفسك.. أن تشعري بالتوهج الدافء كلما كان قريباً منك.. وبالأسى والفراغ حين يكون بعيداً عنك. الحب هو التمتع بمباهج الحياة الصغيرة معاً.. التنزه تحت المطر ويدك بيده تكون النعمة بذاتها..» توقفت لرؤيتها لملامح ناتاشا المتعكرة.

«ما الأمر؟» سألت كارمن بقلق.

«ما قلته للتو عن النزهة تحت المطر.. ما كان ليخطر هذا ببال

مارك . . ولا ببالي . كنا دوماً نلتقي بالمطاعم الراقية والحفلات والأماكن الملائمة . . » .

«اسمعي ناتاشا لا فائدة من تحليل ما حدث الآن لمَ لا تقرأي الرسالة وتعرفين ما هو شعورك حينها؟ سأذهب وأعد لنا بعض القهوة» .

فتحت ناتاشا الرسالة حينها وقرأت اعتذار مارك منها وقوله أنه لم يقصد كلماته تلك وانه يأمل بأن تسامحه ناتاشا لأنه يحبها بعمق ويعلم أنها تحبه بدورها . . وانه سيأتي لزيارتها بالشقة وللتحدث بهذا الشأن . . لا شك أنه هنا الآن يطرق الباب الخالي ويتساءل عن مكانها . وضعت الرسالة على حافة الشباك ودخلت المطبخ لتطلع كارمن على المحتويات . تابعا التحدث بهذا الموضوع لبعض الوقت وعملا بنصيحة كارمن كتبت ناتاشا رسالة الى مارك تخبره بها أنها تتمنى له كل السعادة لتأكدها الآن أن ما يربط بينهما لم يكن حباً بل مجرد اعجاب متبادل . ثم أعلنت كارمن عن نعاسها الشديد فسارعت ناتاشا لترشدها الى غرفتها وقبّلتها متمنية لها ليلة هانئة قبل أن تعود الى غرفتها . النوم لم يكن يبدو ضيفها لهذه الليلة فقد وجدت أفكارها تعود الى جارها الغامض والى كل ما حدث لهما معه بهذا اليوم . سمعت صوت حركة ما في الخارج فسارعت الى النافذة حيث وجدته تماماً كتلك الليلة يتسلل من منزله بسترة سميكة وكاميرا أو منظار حول رقبته ويتجه نحو الشاطيء . نزلت ناتاشا الى المطبخ وحضرت لنفسها الشاي وعقلها يفكر بما يخفيه روبرتو ستافرو . أي طائر هو هذا الذي يخرج هو ليطارده ويصوره بمنتصف الليل كل ليلة؟ وما حاجته الى المنظار بمثل هذا الظلام والضوء الشاحب؟ .

أجل! هناك أمر ما خلف الأكمة وهي، هي ستتحين الفرصة المناسبة للتجول داخل قاربه وتفحصه فلربما دلها ذلك على شيء ما

يميط اللثام عن كل هذا الغموض ويريح بالها . .

الفكرة كانت تتخمر داخل عقلها صباح اليوم التالي وهي تحضّر الفطور وتستمع لصوت كارمن تدندن كعادتها وهي تأخذ دوش الصباح .

«صباح الخير» .

«صباح الخير كارمن . هل نمت جيداً؟» .

«كالخشبة» قالت وهي تتمطى بنعاس : «آه، هذا أفضل . أستطيع متابعة النوم لساعة أخرى، لكني سمعت صوتك» .

«كنت أنوي احضار الفطور لك الى السرير . . علينا الاعتناء بك كما تعلمين» .

ضحكت كارمن وقالت : «يا الهي لستُ مصنوعة من الخزف تاني هذا ما أواظب على اخبارك به . ما الذي سنفعله اليوم؟» .

«سنذهب أولاً لوضع رسائلنا بالبريد ثم سنقوم ببعض التسوق . ونستطيع زيارة لورا وفلورا اذا ما رغبت بذلك» .

«ممتاز» قالت كارمن : «ماذا بإمكاني أن أفعل الآن؟» .

ابتسمت ناتاشا وتمتمت : «بإمكانك صب الشاي . . » وجلستا لتناول الفطور .

انتظرت ناتاشا بعض الوقت قبل أن تقول : «لقد شاهدت روبرتو ستافرو يخرج ليلة البارحة أيضاً» .

«آه؟ الى أين؟» .

«الى قاربه» .

هزت كارمن رأسها قليلاً : «لا أفهم . . » .

«حسناً، هل تحتاجين الى كاميرا أو منظار لصيد السمك؟» .

«أكان يحمل ذلك؟» .

«آلة واحدة من الاثنين . . لم أمير ذلك بوضوح» .

«آه، ناني وهل يهم هذا؟ أقصد لا يوجد أي سوء باصطحاب منظار ما معك. . خاصة بمثل هذه الانحاء فالضوء مشع معظم الأحيان. لا أجد شيئاً غامضاً بذلك. .» صمتت ثم تابعت: «ناني، ما الأمر؟».

«سأفعل. سأتفحص قاربه».

«ماذا؟» صاحت كارمن بذهول: «آه، ناتاشا أتركيه وشأنه. .».

هزت ناتاشا رأسها بعناد: «أريد أن أعرف سبب تحسسه الواضح مني. . منا. . من وجودنا هنا. . وهو كذلك دون شك لا تستطيعين نكران هذا الأمر كارمن صحيح؟ لقد تصرف بلياقة وتحضّر البارحة بمنزل السيدة. . السيدة بيارز لكن لا تنخدعي بذلك. . فأنا لا أثق به مطلقاً ولا للحظة واحدة».

«صحيح. أعرف أنك كذلك. . وهناك شيء غامض بشأنه أجل. . لكن اسمعي نحن هنا بعطلة. ما يقوم به. . وأنا واثقة أنه ليس أمراً شريراً، هو شأنه وحده. هو لا يستطيع اجبارنا على الرحيل. . ولهذا فلم لا تركزي على الاهتمام بصديقتك وبالنزهات والتسلية؟».

«أنت واقعية وعملية جداً الست كذلك؟» قالت ناتاشا بتنهد: «هذا أفضل على ما أظن لكن. .» هزت كتفيها لقد انتهى موضوع روبرتو ستافرو لهذه اللحظة لكن تصميمها لا يزال على حاله.

غادرتا المنزل بعد حوالي الساعة متوجهتان نحو القرية. الرياح كانت باردة نوعاً ما وارتدت الفتاتان معاطفهما الملونة. كلاب روبرتو كانت تلعب في الخارج فأدركت ناتاشا أن جارها قد عاد وباندفاع ندمت عليه نظرت نحو منزله ووجدته يقف على العتبة وينظر اليهما. حيّاها بابتسامة ساخرة فطأطأت رأسها وتابعت السير لاعنة نظرها الذي اتجه نحوه! أخذتا تتحدثان الآن عن الجزيرة وجوها

العائلي الدافء واعترفت ناتاشا لصديقتها أنها تشعر بالاختلاف حتى بطباعها ومزاجها بوجودها بمثل هذا المكان.

«أتعرفين، أشعر وكأنني بدأت أقيّم الحياة البسيطة الهادئة بكل ما تعنيه».

«أفهم قصدك تماماً» وافقتها كارمن بصدق: «أصبحت تحبين الاستماع للراديو. .».

«والتمتع بمعرفة أن هناك صينية خضار تنضج داخل الفرن. .».

«والجلوس أمام المدفأة بتكاسل. .».

«توقفي» صاحت ناتاشا بتوسل: «والا فإنني سأعود الى المنزل الآن فوراً».

«ما الذي كان يفعله؟».

«آه، اذن فقد شاهدته بدورك؟ يقف على عتبة منزله ويراقب كلابه».

«أو يراقبنا» علّقت كارمن.

«أو يراقبنا» رددت ناتاشا: «لربما يعتقد أننا سنخيف عصافيره الحبيبة. وأنا أحمل هذه العصى كالبلهاء. أراهن أن تعليقه عن الطيور المشاكسة كان مجرد محاولة منه لتخويفي من المكان».

«لا بأس، لم لا تسألي اذن الشقيقتين أو السيد مارتن؟».

«هذه فكرة جيدة، سأفعل ذلك بالتأكيد».

زارا فعلاً متجر السيد مارتن ودهشتا لمعرفة أن زوجته تصنع البلوزات الصوفية الرائعة. اشترتا منها بلوزتين واستفسرت ناتاشا عن مسألة العصافير فوجدتها حقيقة فقط اذا اقتربت كثيراً من الأعشاش. وحين سألت مجدداً عن سبب عدم تواجد الأطفال أو الشبان بالجزيرة أطلعها السيد مارتن على السبب بقوله أن كل الشبان يذهبون الى جزيرة مارلو المجاورة والتي تعتبر مركزاً صناعياً وتجارياً هاماً

وبالتالي يتركون مارغريتا لآبائهم والمسنين فقط.

زيارتهم للشقيقتين كانت ممتعة ومسلية بدورها وسعدت لورا بالتحدث مع كارمن وكذلك شقيقتها.

عادتا الصديقتان الى المنزل تفاجأتا.. بانهمار المطر بغزارة وهما بطريق العودة الا أنهما ركضتا بطفولة وأصوات ضحكاتهما تملأ المكان ووصلتا أخيراً الى المنزل والمطر قد بللهما كلياً.

«يا الهي ما هذا؟» صاحت كارمن التي دخلت أولاً الى المنزل.

«ماذا؟ اه..» هتفت ناتاشا بدورها بعد أن رأت الصدمة أمامها. الغبار الأسود كان يسيل من الموقدة ويغطي معظم السجادة وكل شيء داخل الغرفة كان مغلفاً بطبقة كثيفة من الغبار الأسود الناعم.

أغمضت ناتاشا عيونها وقد تحطمت سعادتها وهي تسمع شهقة كارمن وقولها: «ما الذي حدث هنا بحق السماء؟».

ثم سمعتا صوت طرقة على الباب الذي فتحته كارمن ودخل.. روبرتو ستافرو. كان الغبار الأسود يلون وجهه ويداه وانفجرت ناتاشا بالقول فور رؤيتها له: «ما الذي فعلته؟».

للحظة التمع الغضب داخل عيونه ثم اختفى وأجاب: «ماذا تقصدين؟ هل تعتقدين أنني من فعل هذا؟» سألها ببعض السخرية.

«أنت مغطى بالسواد. وكيف عرفت بما حدث؟».

«لأن الشيء نفسه حدث لي. ولأني حذرتك من الغبار الذي يسكن موقدتك من قبل.. لكنك لم تسمعي لي ولهذا فقد أتيت للتحقق.. على كل حال، اذا كنت من غير المرغوب بهم..».

«من فضلك» سارعت كارمن لتقول بابتسامة دافئة: «من فضلك لا ترحل. لقد كانت صدمة كبرى لنا حين دخلنا ووجدنا هذا. بالطبع بإمكاننا الدخول الى المطبخ وصنع القهوة..» رمت بنظرة تحذيرية نحو ناتاشا ثم تابعت: «والتفكير بما علينا فعله بهذه الفوضى»

استدارت مجدداً الى روبرتو وتابعت: «لربما بإمكانك مساعدتنا بهذه سيد ستافرو؟».

طأطأ برأسه موافقاً. وتحركت عيونه نحو ناتاشا: «اذا كان هذا ما تريدينه آنسة كليو؟».

كان ينتظر وأدركت أنها اذا تجرأت وأجابت بفظاظة فإنه سيغادر بكل بساطة ولهذا فقد ابتلعت كبريائها وقالت: «من فضلك شاركنا بتناول القهوة، اسفة لتحدثي معك بحدة.. كنت أشعر بالصدمة».

«أنا واثق من ذلك. فهذا ما حدث لي بالضبط حين رأيت غرفتي. الرياح والأمطار الغزيرة هي المسؤولة عما حدث».

تبع ناتاشا الى المطبخ وبغرابة شعرت هي به خلفها وشعرت أنه لم يكن منزعجاً تماماً مما حدث لكن لم يكن بيدها أية حيلة وهي لا ترغب بالتأكيد بإثارة غضبه الذي قد يكون هدّاماً. وشكرت الله لوجود كارمن بالمكان فهي لن ترغب مطلقاً بالبقاء معه بمفردها بأي مكان.

حضّرت كارمن القهوة وقبل أن تنتهي قال روبرتو: «هل تملكين جاروفاً ومكنسة؟».

«أجل. في خزانة السلالم» ردت ناتاشا بسرعة وخرجت لتحضرهم: «سأجمع ما يُجمع داخل الموقدة وأرميه خارجاً» قال وهو يتناول المعطف الجلدي الموجود داخل الخزانة لهذا الغرض وتلامست أجسادهما للحظة قصيرة فتحركت ناتاشا مبتعدة على الفور.

«أجل، شكراً لك» قالت بسرعة وهي تشعر بالارتباك دون أن تعرف السبب. وناولته المكنسة والجاروف وتبعته الى غرفة الجلوس: «هل بإمكاني المساعدة بشيء؟» سألت وهو يدخل الموقدة لتنظيفها.

«أجل، اذهبي وأحضري وعاءاً».

«حالاً» قالت وركضت الى المطبخ. يجب ألاّ تجعله ينتظر: «هل ينفع هذا؟» سألت وهي تناوله وعاء الزبالة.

«سيحتاج للتنظيف بعد ذلك. لكن أجل سينفع» ورفع نظره اليها وكان من الصعب معرفة ما كانت تقوله عيناه: «عندك لطخة سوداء على أنفك» قال واستدار متابعاً عمله.

أخذت ناتاشا نفساً عميقاً. آه، يا لك من رجل رائع، الرجل المحترم الحقيقي بدون شك همست بنفسها بتهكم.

«حقاً؟ اذن سأغسلها فوراً».

«أجل» رد بدون أن يلتفت. كان يعمل بسرعة حتى لا يسمح للغبار بالانتشار لأكثر من هذا.

ملأ الدلو بالغبار الأسود ونهض: «سأفرغ هذا في الحديقة الخلفية. وعاء اخر وسينتهي الأمر. ثم سنهتم بأمر اشعال النار داخل الموقدة».

«شكراً لك» قالت وراقبته وهو يغادر المطبخ ثم يعود بعد لحظات.

«فوطة مبللة مع بعض دواء السجاد» الصوت كان ساخراً وكأنه يخبرها أنه كان عليها هي التفكير بذلك.

وشعرت ناتاشا بوجهها يحمر خجلاً وقالت: «أجل. حالاً» وسارعت بمغادرة المكان الى المطبخ وهي تلعن بهمس.. ورفعت عيونها لتجد كارمن تكبت ضحكتها.

«تبدين رائعة» همست بصوت مرتعش.

«شكراً أعرف ذلك. لقد أخبرني بذلك» قالت ودون أن تعرف السبب بدأت تشعر بالانزعاج من وجود الرجل المرعب المساعد الموجود في الغرفة المجاورة. كان يثير جنونها دون أي جهد يذكر

من قبله.

عادت الى غرفة الجلوس ووجدته ينتظر بصبر.

«آه أخيراً» قال.

«بإمكاني فعل ذلك بنفسي. لقد فعلت ما فيه الكفاية» قالت.

«جيد» قال ولف السجادة وحملها الى الخارج لتنظيفها.

أخذت ناتاشا تنظف داخل المدفأة الذي أخذ يلمع بحجارته الضخمة مجدداً. وشعرت ناتاشا بالامتنان نحو جارها الضخم فلولاه لما تمكنت من حل هذه المشكلة بهذه السرعة.

أخذت الفوطة الى المغسلة لتفضها وتعاود التنظيف فوجدته يغسل يديه ووجهه.

«القهوة جاهزة» قالت كارمن وكأنها مصممة على قطع الطريق أمام أي شجار قد ينشب بينهما.

«سأنظف الموقدة لمرة أخيرة بعد ثم ألحق بكما الى المطبخ» قالت ناتاشا ودخلت مجدداً غرفة الجلوس.

حين دخلت المطبخ كانا يجلسان على الطاولة يحتسيان قهوتهما. فجلست ناتاشا واحتست جرعة من فنجانها.

«رائعة» قالت: «أكانت غرفتك بحالة سيئة سيد ستافرو؟».

«روبرتو.. الاسم هو روبرتو..».

«يبدو من السخافة بمكان استعمال الألقاب فيما أنتما جارين» قاطعته كارمن بسرعة. سمعتهما ناتاشا يتحدثان وهي تنظف الموقدة. كارمن لا تضيع الوقت اذن، نظرت الى صديقتها التي كان وجهها مشعاً وبريئاً.

«روبرتو» قالت بجهد: «صحيح؟».

«ليس بمثل هذا السوء» أجابها.

«لقد حظيت الموقدة بحفلة تنظيف ضخمة على ما أظن» قالت

ناتاشا: «أقصد بالنظر لكمية الغبار الضخمة التي فرغت من داخلها» هي لن تتصرف بفظاظة معه، لن تستجيب لاستفزازاته، ستجعل كارمن فخورة بها، حتى ولو كان ذلك مرهقاً ومتعباً لها هي.

«لربما أنت على حق. سنرى ذلك» قال وابتسم لها وبدا مختلفاً تماماً، وكأنه شخص آخر بهذه الابتسامة، لربما بإمكانه أن يصبح لطيفاً حين يريد ذلك.

«كان من اللطف منك عرضك المساعدة علينا» قالت ناتاشا: «لم يعد منظر الغرفة مروعاً حقاً. سيتم تنظيفها حالاً».

«أجل، لا بأس.. من الأفضل أن أغادر الآن. أنا واثق أنك تريدين مزاولة التنظيف فوراً. وأنا عليّ انهاء بعض الأعمال».

«آه، أجل. لقد شاهدنا العديد من الطيور أثناء نزهتنا اليوم. وتساءلنا اذا كنت تملك كتاباً عن الطيور بإمكاننا استعارته، كتاب بصور بالطبع، حتى نتمكن من التعرف على كل نوع».

برقت عيون ناتاشا لادراكها لقصد صديقتها من سؤالها البريء هذا بالذات وراقبت وجه روبرتو وترقبت رده بتلهف بدا عليه التفكير وقال: «عندي العديد من هذه الكتب. سأحضر لك أحدها لاحقاً. اذا كنتما في الخارج فسأضعه على حافة الشباك».

«سنعتني به جيداً» أكدت كارمن له.

«أنا واثق من ذلك. الى اللقاء الآن».

فتح الباب واستدار الى ناتاشا وقال: «لا تنسي أن تمسحي الغبار عن وجهك.. ناتاشا».

أغلقت الباب خلفه وعادت الى المطبخ والارتباك الغامض يسكنها.

انشغلت الصديقتان بأعمال التنظيف وكانتا تنشران الملابس على الشرفة الخلفية حين وجداه يتوجه والكلاب الى جهة الشاطيء

لحظات وسمعا صوت محرك زورقه يهدر ثم يبتعد داخل المياه. المساء كان قد حل ونظرت ناتاشا الى صديقتها وسألت: «ترى الى أين يذهب؟».

«أتساءل عن ذلك. يا له من قارب رائع».

«وهو يصطحب معه كلابه».

ضحكت كارمن: «ولم لا؟ بحق السماء لا تجعلين من هذا الأمر لغزاً غامضاً».

ابتسمت ناتاشا بتردد وقالت: «أنا لا أفعل لكن.. حسناً، كلما أراه أكثر، كلما فهمته أقل».

«لعله يقول الشيء نفسه عنا».

«أجل. أتساءل ان كان قد ترك الكتاب على النافذة. سأذهب وأتأكد».

«حسناً؟ هل وجدته؟» سألتها كارمن حين عادت.

«كلا» ردت ناتاشا وهي تهز رأسها بالنفي.

«سيضعه لاحقاً».

«أجل» قالت ناتاشا وشعور غريب يعتريها. شعور لم تفهم كنهه لكنه كان موجوداً.

«فكري كم سنقدّر الغسالة والمكواة الكهربائية حين نعود» قالت كارمن وهما تكويان الثياب بالمكواة القديمة.

«لم أعتقد للحظة أن العمل المنزلي سيكون ممتعاً هكذا» وافقتها ناتاشا: «لم يرق لي الأمر من قبل أبداً.. لكن أتعرفين شيئاً؟ أنا أستمتع بهذا!».

«حسناً، لا تنجرفي كثيراً بهذا» حذرتها صديقتها: «التواجد بكوخ ريفي صغير هو ما يروق لك فعلاً».

«أعتقد ذلك» وافقتها ناتاشا: «بالطبع أنت على حق. لكني قررت

العودة الى هنا دوماً بالمستقبل. لم أشعر بهكذا سعادة وراحة منذ أجيال».

«ولا علاقة لجارك الضخم بذلك، على ما أفترض؟».

«هو؟» رددت ناتاشا بدهشة: «هل تمزحين؟».

«حسناً أنت قلت أنك تشعرين بالسعادة. ويبدو أن له تأثير غريب عليك يا حبي».

«فقط لأنه يثير حنقي وجنوني من تصرفاته وتعليقاته المهينة» ردت ناتاشا وعيونها تبرق.

نظرت كارمن اليها: «هذا ما أقصده! الحياة لن تكون مملة بوجوده بالجوار اليس كذلك؟».

«مملة؟ كلا، لم أقصد وجود رجل بإمكانه..» وتوقفت.

«أجل؟ بإمكانه ماذا؟».

«آه، لا شيء».

«آه، هيا! لا تستطيعين ترك الخبر معلقاً هكذا».

هزت ناتاشا كتفيها وقالت: «حسناً، رجل بإمكانه اثارة جنوني بسرعة هكذا. فقط بمجرد نظرة واحدة منه».

«همم، هو لم يرميني بهكذا نظرة، يجب أن أعترف بذلك».

«ليس هذا النوع من النظرات. ليس النظرات الذئبية ليس هو. أقصد نظره تحديقة رمادية باردة، النظرة التي تقول انه يعرف شيئاً أنت لا تعرفينه وانه يقرأ أفكارك.. آه، أنا أشعر بالارتباك الكامل».

«تقصدين انك منزعجة لأنه لا يتصرف معك بالطريقة التي يفعلها الرجال الآخرين؟».

«لم أقصد ذلك أيضاً!» ردت ناتاشا بسرعة: «لا يهمني حتى ولو كان من النوع الذي يكره النساء..».

«أتساءل عن تقبيله لك اذن؟».

«اذا ذكرت هذه النقطة مجدداً فسوف..» هددت ناتاشا.

انفجرت كارمن بالضحك: «آسفة، آسفة. انها نكتتي الصغيرة. ما كان عليك ذكر هذا لي مادام التحدث عنه يزعجك هكذا.. مع انني كنت لأشعر بالانزعاج لو أنك فعلت».

تنهدت ناتاشا وقالت: «الأمر لا يزعجني. لقد تخطيت هذه المرحلة منذ سنوات، كنت فقط مضطربة. وقامة الرجل.. هذا ما أزعجني هذا كل شيء».

«أنا أصدقك. حقاً» قالت كارمن ونهضت من مكانها الى المطبخ فلم تشاهد ناتاشا تعابيرها.

قررتا الخروج بنزهة صباح اليوم التالي وقالت ناتاشا: «سنأخذ بعض الطعام وغطاء والمعاطف».

«آه فقط لو كان معنا كاميرا» قالت كارمن والتفتت فجأة لسماعها صوت خطوات خارج الباب.

لحظات ثم تابعت الخطوات وسمعتا صوت باب منزل روبرتو يفتح ويغلق.

نهضت ناتاشا من مكانها بسرعة وفتحت بابها لتجد في الخارج كتاباً مصوراً عن «طيور الجزر».

أعادته معها الى الداخل وناولته لكارمن: «لهذا توقف قليلاً».

«آه انه كتاب رائع كما يبدو».

«سأدخل لأعد لك الشاي والتوست الآن» قالت ناتاشا ودخلت المطبخ وفكرة خبيثة تدور برأسها.

الليلة، الليلة ستخرج لتقوم بجولة داخل قارب روبرتو ستافرو لقد وصل للتو من رحلته كما يبدو ولن يحتاج القارب الآن. تأكدت من خلود كارمن للنوم وتسللت بسرعة خارج المنزل سترتها حول أكتافها وتركت باب المنزل بلا قفل حتى تدخل بسرعة. لن تحتاج لأكثر من

ربع ساعة فقط وستعود بعد ذلك فوراً.

سارت لعدة خطوات على رمال الشاطيء الناعمة ثم توقفت. هل هي تتصرف بجنون؟ والأسوأ من هذا هل هي تتصرف كالمجرمين فما تفعله كان تعدياً واضحاً على ممتلكات الغير واذا ما كسرت شيء ما بطريق الصدفة..

لكنها لن تفعل، ولولا عدائيته المفرطة لما فكّرت بالتصرف هكذا.. اذن فالخطأ خطأه.

تفحصت داخل المركب وشعرت بالخيبة حين وجدت كل شيء عادي ولا شيء يدعو للريبة. ثم أخذت تفتح الخزائن لتتعرف على موجوداتها وكأنها تتوقع رؤية أسلحة أو مخدرات أو أشياء ممنوعة. لكن الخزائن كانت تحتوي فقط على المعلبات والأواني المطبخية المختلفة والعادية. ثم وفيما هي تقف على أحد الكراسي لاستطلاع موجودات الخزانة العلوية تجمدت أوصالها وانقطعت أنفاسها لسماعها لصوات أقدام تصعد على ظهر القارب جمدها الذعر للحظات ثم نزلت من مكانها فوراً وسارعت للاختباء خلف خزانة الثياب الكبيرة. لعله عاد فقط لاسترجاع شيء ما قد نسيه وسيرحل فوراً. لكن اصالها تناثرت حين وصل الى سمعها صوت المحرك يدور، لحظات وانساب القارب ماخراً عباب الماء. أدارت ناتاشا نظرها بالغرفة حولها بهلع مفتشة عن وسيلة للهروب لكن لم يكن بالغرفة ولا حتى نافذة صغيرة. فقبعت مكانها مدركة أن لا حل اخر أمامها سوى الاختفاء عن الأنظار هكذا حتى يعود من رحلته المجهولة هذه. غمرها الندم لتهورها وتمنت لو أنها كانت داخل المنزل الآن ملتفة بالأغطية وتغط بالسبات. ما الذي دهاها لتتصرف هكذا؟ أفقدت عقلها فعلاً بسبب روبرتو ستافرو الغامض هذا؟.

بدا الانتظار أبدي وهي مكانها ثم فجأة ودون سابق انذار توقف

صوت المحرك ثم سمعت صوت خطواته تنزل الدرجات ثم تدخل الغرفة. وقف شعر رأسها من الرعب وارتجفت بشدة.

«حسناً، حسناً، يا لها من مفاجأة! وما الذي تفعلينه هنا؟» واجهها روبرتو ستافرو الضخم، الغاضب والقاسي: «وكأني لا أعرف. تتجسسين ايه؟ كما كنت تفعلين اليوم حين حاولت فتح باب منزلي. هل اعتقدت للحظة أنني سأتركه مفتوحاً؟».

الذهول تملكها لمعرفته لمحاولتها تلك والتي لم تخبر أحداً بها ولا حتى كارمن ولم تستطع الا أن تردد بغباء: «كيف.. كيف عرفت؟».

«لا تكترثي لذلك. لقد فعلت، والآن هذا. هل تعرف كارمن بمكانك الآن؟» سألها.

«كلا. انها نائمة».

الظلال كانت تجعل وجهه يبدو كوجه القرصان. وشعرت ناتاشا بالخوف الشديد منه وهو يقف كالطور أمامها الآن وذراعه على الباب، تغلق عليها طريق الهروب.

فجأة ابتعد الى وسط الغرفة وقال: «حسناً، لنسمع التفسير منك».

أطاعته فهذا كان التصرف المنطقي الوحيد، جلست على المقعد المقابل وهمست: «أردت.. أردت فقط رؤية قاربك من الداخل».

ضحك وقال: «آه، هيا بإمكانك النطق بأفضل من هذا بالتأكيد. رؤية داخل قاربي؟ بمنتصف الليل؟».

نهضت ناتاشا وقالت: «أنا لن أبقَ هنا.. أنا راحلة».

«الى أين؟ أتعرفين أين نحن؟ نحن في وسط البحر. اذن ما الذي ستفعلينه.. تعودين سباحة؟».

«لماذا.. لماذا توقفت هنا؟».

«لأني كنت أعرف تماماً أنك داخل القارب وأردت معرفة سبب وجودك هنا دون أن يكون أمامك أية فرصة للهروب. في الواقع، وبالوضع الحالي أنت.. سجينتي!» قال واقترب منها وأجبرها على الجلوس: «ولهذا فاجلسي، أنت محجوزة هنا حتى تخبريني عما ترمين اليه».

«لست مضطرة لاخبارك بأي شيء» قالت وهي تفرك يدها حيث كانت أصابعه: «وأريد العودة الى المنزل».

«المنزل؟ الى روما؟» قال بتهكم.

«الى كوخي».

«أتسمين ذلك منزلك؟».

«انه كذلك للوقت الحالي أجل» شجاعتها كانت تعود اليها الآن بعد أن زال خوفها ووجدت حدة غضبه تفتر. فرفعت ذقنها بتحدي وسألته: «حسناً أنا سجينتك اذن، فما الذي تنوي أن تفعله بي؟».

زم شفتيه وقال: «همم، عليّ التفكير بذلك لا؟ هل أطعمك لأسماك القرش؟ أم أجعلك تسيرين على حافة المركب؟».

«لست مضحكاً» قالت وهي تنظر بعيداً.

«اذن فما هو وجه المتعة بقضائك لبقية الليلة معي؟» قال وهو يبتسم بسخرية.

«لست مضحكاً بهذا أيضاً. أنا لا أخاف منك. باستطاعتي الاعتناء بنفسي».

«أنت لا تستطيعين حتى منعي من تقبيلك» رد بسرعة: «أم أنك قد نسيت».

ترددت للحظة قبل أن تضحك وتقول: «ذاك؟ يا للسماء وهل كان من المفترض بي التذكر؟».

«اذن دعينا نرى رد فعلك على هذا» قال وانحنى فوراً وأحاطها

بذراعيه.

«ابتعد عني» صاحت ودفعته بغضب عنها.

«لقد خذلتني أيتها القطة المتوحشة» قال باستمتاع ورفع ذقنها بأصابعه: «أين النار، أين مزاجك الناري؟».

أبعدت يده بحدة وصاحت وعيونها تبرق وصدرها يصعد ويهبط بحدة: «حاول ذلك مرة ثانية وسترى».

«لا تهددني. قد أكتشف أكثر من ذلك اذا ما كنت عصبية وحادة. بإمكانك اخباري بالحقيقة الآن..».

«لا يوجد ما يقال. كنت فقط فضولية..».

«ولهذا فقد تسللت الى هنا ليلاً لتتجسسي علي. ما الذي توقعت أن تجديه هنا؟ أسلحة؟ مخططات السطو على مصرف ما؟ هيا فتشي القارب. فتشيني أنا أيضاً اذا أردت. مع أنني لن أعدك بعدم الضحك. فأنا سريع التأثر بالدغدغة..».

«أنا لن ألمسك» قاطعته بحدة.

ابتسم بخبث وقال: «يا للأسف.. كنت لأستمتع بذلك. حسناً، هيا تابعي. اذهبي.. وفتشي المكان».

«كلا. أريد العودة الى مارغريتا».

«حظ سيء يا عزيزتي. عليك الانتظار حتى أرغب أنا بذلك. وأنا لست كذلك.. حتى الآن».

«الى.. الى أين ستذهب؟» سألت والارتعاش واضح بصوتها.

ضحك وقال: «مرعوبة؟ هذا جيد. قد يعلمك هذا درساً».

«لا تستطيع فعل أي شيء لي..».

«كلا؟ لقد أخبرتني بنفسك أن كارمن لا تعرف مكان تواجدك..».

«لقد تركت لها ملاحظة. ستجدها حين تستيقظ..».

«كاذبة! أنت لا تبدين حتى مُقنعة، بإمكانك القيام بأفضل من هذا أيتها الصغيرة اذا ما أردت أن تكبري وتصبحي جاسوسة..».

«اخرس» قالت وأغلقت أذنيها: «أتركني وشأني».

اقترب ليبعد يديها عن أذنيها ثم أنهضها وقال: «والآن ما الذي ستفعلينه؟ أنت لا تستطيعين الحراك. ولهذا فلا تقولي لي اخرس ولا تحاولي أن تقاوميني لأني أقوى منك بكثير. فقط اسمعي.. لماذا أنت على متن قاربي هذه الليلة؟».

حدّقت به بعجز ولكن لم يكن من فائدة بالعناد. عليها اخباره بكل شيء. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «لأنني أظن اما أنك مجرم أو مهرّب، لقد أوضحت منذ البداية أنك تريد رحيلي.. وكل ما قمت به منذ ذلك الحين كان يؤكد ذلك. لا أعرف لماذا تكرهني لهذه الدرجة. أنا لم أؤذيك بشيء. وأنت دوماً تخرج في الليل وأنا لا أعتقد أنك تؤلف كتاباً من الأصل..» وتوقفت لادراكها أنها قد تفوهت بالكثير ولأنها لم تعجب للنظرة التي ظهرت داخل عيونه.

ابتسم بغموض وقال: «هذا مثير للاهتمام. ولماذا تعتقدين أنني لا أؤلف كتاباً؟ أخبريني».

«أفلتني من فضلك، أنت تؤلم رسغي».

ببطء أفلتها وقال: «لست مجرماً ولست هارباً من القانون وبالتأكيد أنا لم يسبق لي أن هرّبت أي شيء بحياتي».

بغرابة كفاية صدقته ناتاشا وآمنت أنه يتفوه بالصدق، لكن ظلت هناك العديد من الأشياء التي لم تفهمها. وعاد التوتر الخفي ليحيط بهما.

«هل تكتب كتاباً عن الطيور؟» سألته باندفاع.

«أنت تشكين بي؟ سأريك أبحاثي والصور التي التقطها حين.. أقصد اذا.. سمحت لك بالعودة الى مارغريتا» قال وارتفع حاجباه

باستمتاع وسخرية.

أرادت أن تقول أنها لا تصدقه لكنها لم تجرؤ على ذلك. وسألته: «اذن لماذا لم تضع الكتاب على حافة النافذة الا بعد خروجك بالقارب؟».

«لأنه كان على متن القارب نفسه. لقد تركته هنا منذ عدة أيام وبما أنه أفضل الكتب الموجودة عندي فقد أحضرته بالذات لكم».

لم تصدقه وسألته: «وكيف عرفت أنني عارضة أزياء؟ لا تقل لي لأنني أبدو كذلك فأنا لم أكن «متأنقة» حين التقينا في المرة الأولى.. اذن كيف عرفت؟».

ضحك وقال: «وذكية أيضاً، يبدو أنني قد أخطأت بتقديرك. الآن كيف عرفت؟» غرق بالتفكير ثم تابع: «عرفت.. الملابس. الملابس كانت غالية الثمن بوضوح..».

«هراء» قاطعته بحدة: «كانت الملابس من محال عادية..».

«آه أجل! لكن طريقة ارتدائك لها رائعة!» قال بابتسام وبغرابة أيضاً شعرت ناتاشا بغضبها يتبخر وسكنتها الحيرة لمزاجه، لماذا يتصرف بهذه الطريقة؟ لقد كان في البداية غاضباً والآن يبدو أنه لم يعد كذلك. كحالها هي تماماً. أخذت ناتاشا تشعر بالعجز فعنده الجواب لأي سؤال.

«أنت كالـ.. كالسياسي» قالت بيأس: «أنت تحوّر كل كلمة أنطق بها. أنت تعرف ما الذي أقصده لكنك تقول أشياء وتجعلني أشكك حتى نفسي».

«حقاً؟ يا للجمال! من الأفضل لك أن تجلسي مجدداً، الوقت متأخر».

«أعرف ذلك. وأنا متعبة جداً. آسفة لمجيئي الى قاربك.. آسفة لكني بالمنزل المجاور لك.. آسفة لرؤيتي لك منذ البداية».

«كلمات قاسية. تقصدينها بالتأكيد لكن توقيتها متأخر. أقصد أنك على قاربي.. تسكنين بالمنزل المجاور لي.. وقد رأيتني وقابلتني» ابتسم بخبث متابعاً: «قلت اجلسي».

جلست وتمتمت: «أنت مغروم بإلقاء الأوامر».

«آه، أجل أنا كذلك. وهذا ما ستكتشفينه دوماً كلما حاولت التلاعب معي. لقد أفسدت رحلة صيد جيدة لي هذه الليلة..».

«هه!» صاحت بتعجب وشعرت بغضب غامض يجتاحها. ولم تعرف كيف تتصرف معه وتغلبه، هذه تجربة جديدة تماماً عليها، فلم يسبق لها وأن قابلت رجلاً منيعاً تماماً عن كل حيلها الأنثوية. هل ستنفع معه الدموع؟ هناك طريقة واحدة لمعرفة ذلك لكن أو أنها لم يحن بعد.

تذكرت شيئاً آخر فقالت: «والجميع متقدم بالسن في مارغريتا..».

كان هذا تعليقاً سخيفاً فقد رمقها بتهكم وقال: «وماذا؟ هل أنا المذنب بذلك؟ أنا لم أقتل أياً من الشباب هنا».

«أنا لم أقصد ذلك. لكن لماذا أنت هنا؟».

«ولم لا؟ المكان هنا بالغ الهدوء.. أو أنه كان كذلك قبل مجيئك..».

«لا تعجبني» صاحت.

«أعرف ذلك».

«وأعرف أنني لا أعجبك» أضافت.

«وهل يزعجك ذلك؟» نبرته كانت لطيفة مما أثار حيرتها.

«بالطبع لا».

أخذ يضحك وقال: «أنت فتاة مضحكة أتعرفين ذلك؟».

«لست كذلك. لا تقل ذلك مجدداً».

«فتاة مضحكة» ردد بإغاظة.

نهضت ناتاشا من مكانها ومرت من جانبه بسرعة بطريقها الى السطح. لم تكن واثقة من المكان المتوجهة اليه لكنها أرادت الابتعاد عنه لادراكها أنها اذا بقيت داخل المقصورة لدقيقة أخرى فإنها ستقوم بتصرف تندم عليه لاحقاً.

اتكأت على حاجز القارب وحدقت بالبحر في الأسفل وارتعشت وهي تشعر بالحزن والبرد. ما الذي كانت تفعله هنا؟ كان عليها التواجد الآن بسريرها الدافيء، تتمتع بعطلتها السعيدة الهانئة بمكان بعيد تماماً عن نمط حياتها الروتيني.

وصل وسمعت صوته خلفها.

«انزلي الى الأسفل.. الطقس بارد هنا».

«كلا، لن أفعل» قالت وتمسكت بالحاجز.

«بلى ستفعلين. وستبقين في الأسفل أيضاً».

«كلا معك لن أفعل» قالت وظهرها له.

«أنا لم أقل معي. سأبدأ بتشغيل القارب بعد لحظات وأريد أن أعرف مكان تواجدك..».

«أنت لن تحتجزني في الأسفل!» قالت وهي تستدير لتواجهه وعلى وجهها الخيبة.

«ألن أفعل؟ سترين ذلك بنفسك. سنقوم برحلة قصيرة.. ثم اذا تصرفت بشكل مؤدب سأعيدك الى مارغريتا..».

كان هذا كابوساً مزعجاً. لا شك بذلك، لكنها لن تسمح له بحبسها داخل المقصورة.

«كلا شغل المحرك اذا أردت لكني سأبقى هنا..».

«ناتاشا» قال ببطء وبشبه امتعاض وكان غريباً على مسمعها لحن اسمها بصوته: «أنت لن ترغبين بإنزالي لك الى الأسفل باستعمال

القوة صحيح؟».

تمسكت بالحاجز وقالت: «أنت لن تجرؤ على ذلك».

«سأجرؤ. ولا تعتقدي أن بإمكانك مقاومتي لأنك لا تستطيعين ذلك. أنا أقوى بكثير منك».

«سأصرخ..».

«ولن يحدث شيء. لا يوجد أحد هنا ليسمعك.. هيا، كوني فتاة جيدة. نحن نضيّع الوقت بوقوفنا للمجادلة هنا. كلما نزلت أسرع الى المقصورة كلما كانت عودتك أسرع الى مارغريتا..».

أبعدت ناتاشا يده عن ذراعها ودفعته بعيداً ثم ركضت هاربة منه. لكنها كانت مرتبكة ومتعبة. فتعثرت بحبل القارب وشعرت بيديه حولها ليمنعاها من السقوط وبمحاولة أخيرة انتزعت نفسها منه بقوة هائلة جعلتها تتكىء على الحاجز بقوة وبلحظات لم تشعر بنفسها الا وهي في الماء الباردة الجليدية والهواء قد انقطع عن رئتيها أدركت أنها كانت تغرق و..

«تمسكي بي أيتها البلهاء» أعادها الصوت القاسي لبعض الوعي ولمحت بغشاوة وجه روبرتو الغاضب قبل أن تغمض عيونها وتصارع للصعود الى السطح.

«لقد سقطت عن الحاجز أيتها الغبية» قال وهو يضعها على حافة القارب: «وأقسم أنك اذا تفوهت بكلمة أخرى بعد فإنني سأضربك على مؤخرتك. أدخلي الى المقصورة».

«لا..» قالت بوهن.

«الى المقصورة اللعينة» صاح كالرعد وحملها بين يديه وأنزلها الى هناك: «لا تتحركي من هنا.. ولا تجلسي على الكراسي بهذه الثياب المبللة. اخلعيها.. سأحضر لك بطانية» كان ينطق بكل كلمة بقوة نارية كأنه يكبت غضبه المشتعل بصعوبة. ناولها بطانية رمادية

وأخرى سوداء وتابع: «سأمنحك دقيقتين لخلع ملابسك والتدثر بالبطانية ثم بإمكانك الجلوس أينما شئت» واستدار مغادراً.

خلعت ناتاشا ملابسها المبللة جداً ووضعتها برزمة على الأرض ثم التفت بالبطانية ووضعت الأخرى حول أكتافها العارية.

«هل انتهيت؟».

«أجل» قالت وهي تجلس على الكرسي الخشبي الطويل.

«حسناً، سأصنع لك كوباً من الشاي الساخن. وأحذرك الآن لست بمزاج يصلح لأي من أعمالك الجنونية. هل هذا واضح؟».

بصوت خافت ردت ناتاشا: «أجل» وراقبته وهو يدخل المطبخ ثم يغادره بعد لحظات يحمل الصينية.

«شاي ساخن.. اشربيه».

«شكراً لك».

جلس بمواجهتها وأشعل سيجارة: «أنا عادة لا أفقد أعصابي وهذا ما عليك أن تشكري ربك عليه».

«آسفة» قالت وهي تشعر بالانزعاج الكامل لوجوب اعتذارها.

«هذا ما عليك أن تكونيه. اشربيه بأكمله، ستعانين من الصدمة بعد قليل ولا أحب أن أنقلك الى صديقتك وأنت بتلك الحالة».

«أنا قوية. سأكون على ما يرام بعد لحظات».

«يسرني سماع ذلك. لكن ثيابك لن تكون كذلك للأسف. عليك العودة الى المنزل بالبطانيات. امل أن تكوني جيدة بشرح ملابسات الوضع».

غص قلبها وتمتمت: «لكن.. لكن ألن نعود قبل.. قبل..».

«قبل أن تستيقظ؟ لا أعرف. هل يقلقك هذا الأمر الآن؟».

عضت على شفتها وقالت: «سأكون قد تجمدت من الآن حتى الصباح».

«كان عليك التفكير بذلك قبل قيامك بعملك الأهوج بالهروب على تلك الطريقة اليس كذلك؟».

«لم أكن.. أقصد أنني لم أتقصد السقوط بالماء. كنت أهرب منك. لم أرغب بأن تحبسني في..» توقفت لأن الوجه أمامها كان رمزاً للقسوة وعدم التعاطف.

أخذت جرعة كبيرة من الشراب الساخن يبدو أنها لن تصل الى شيء عبر التوسل ولهذا فالأفضل لها أن تخرس وتتركه يتكلم. لن تسوء الأشياء أكثر مما هي عليه بهذه اللحظة وهو لن يقتلني ويرميني بالبحر ولهذا فسأتابع الجلوس هنا.. وأرى ما الذي سيحدث.

رفعت نظرها اليه ولربما بعضاً من أفكارها قد ظهرت على وجهها. فقد استفسر بلطف: «هل ابتلعت لسانك؟».

«كلا. أنا لن أهدر وقتي بالتحدث اليك. افعل ما تشاء أن تفعله واتركني وشأني».

ابتسامة خفيفة ظهرت على شفاهه وقال: «أنت تتعلمين بسرعة. حسناً انتهي من شرابك وسنذهب» نهض وتابع: «ألن تسألي الى أين؟».

«كلا».

أخذ يضحك وقال: «هذا أفضل. سأعيدك الى مارغريتا.. الى السرير الدافىء الذي لم يكن عليك مغادرته».

وضعت ناتاشا كأسها الفارغ على الطاولة وقالت: «شكراً لك».

«لا تشكريني. أنا لم أرغب بوجودك هنا من الأصل» وبهذا غادر المكان وسمعت بعد لحظات صوت المحرك واهتز القارب وهو يتمايل برحلة العودة الى الجزيرة، وسرحت أفكارها للتفكير بروبرتو ستافرو.. هي لم تقابل رجلاً مثله من قبل.. مطلقاً.

شعرت بالبرد فشدت البطانية حولها وتنهدت.

«ناتاشا، تعالي الى السطح» جاءها صوته المنادي.

صعدت بسرعة مخافة نفاذ صبره وكان بانتظارها.

«هيا تعالي، اتبعيني الى الجهة الأخرى» قال فسارت معه وساعدها بالنزول الى الشاطىء.

«الى اللقاء» قالت بسرعة.

ضحك وقال: «كلا ليس بعد.. يجب أن أراك داخل منزلك بسلام.. فمن يعلم ما الذي قد يخطر ببالك من تصرفات؟».

«وأنا بهذه الملابس؟» هتفت بعدم تصديق.

«أنا لن أستبعد أي شيء بالنسبة لك. أي شيء مطلقاً» رد برقة وهو يمسك بذراعها: «هيا».

«أبعد يدك عني باستطاعتي السير.. آخ» صاحت وقد نسيت أنها لا تنتعل حذاءاً وقد ذكرها بذلك حجر حاد وبألم.

«بإمكانك ذلك فعلاً» قال بسخرية وهو يخفي ضحكته.

«أجل» قالت بعناد: «طالما أن بإمكاني رؤية مداس قدمي» وتابعت السير ولكن بعناية هذه المرة. كان يسير قربها بخطواته السهلة هذا الرجل الذي يثير كل غيظها وحنقها.

ثم خطت على حجر خفي وكتمت صرخة الألم الذي كادت أن تخرج من شفاهها لكنه أدرك ذلك واستدار نحوها بنفاذ صبر.

«فلينجّني الله من النساء الغبيات العاجزات».

«آه» صارعت بقوة وهو يحملها: «أنزلني أرضاً على الفور! كيف تجرؤ..».

«اخرسي يا امرأة. اذا ما اعتقدت أن أمامي الليل بطوله لتحمل خطواتك البطيئة وتعثرك بالصخور.. فأنت مخطئة. ولهذا إبقِ صامتة والا..».

«أيها المتوحش البغيض..» قالت وهي تصفعه على جانب رأسه

فوضعها على الأرض بخشونة وشدها نحوه. كان غاضباً الآن ولم يقم بأي محاولة لاخفاء ذلك.

«توقفي عن مقاتلتي أيتها القطعة النارية الصغيرة..».

انتزعت ذراعها منه وأخذت تركض وتركض دون أن تكترث الآن لأقدامها كل ما تريده كان الابتعاد عن هذا الرجل. خطواته الراكضة كانت ثقيلة خلفها عبر الضباب واذا ما أمسكها.. ثم أمسكها. وسقطت البطانية الأولى من حول أكتافها على الأرض وهو يديرها لتواجهه.

هزها بعنف وقسوة.

«اخ، أنت تؤلمني، أتركني».

«أنت بحاجة لضرب مبرح..».

«ليس منك» صاحت وتوقفت فجأة عن الصراع مخافة أن تسقط البطانية الثانية..

انحنى وتناول البطانية عن الأرض ورماها اليها: «ضعي هذه حولك واعتبري نفسك محظوظة جداً بكونك امرأة ليس رجلاً».

لفت البطانية بعناية حول أكتافها واستدارت مبتعدة عنه كانت بالغة الغضب والحنق وأخذت تسير ببطء الآن ومشارف منزلها قد ظهرت والدموع الغزيرة التي أخذت تنهمر على وجهها تمنعها من الرؤية الواضحة.

دفعت الباب قليلاً فَفُتح واستدارت ففتح هو الباب على مصراعيه ودخل خلفها.

«لا يجب..» بدأت وصوتها يرتعش.

«لن أبقَ» قاطعها بقسوة: «ما الذي تبكين لأجله بحق الشياطين؟».

«لست.. لست..» قالت ثم صمتت.

«بحق السماء» قال ومرر أصابعه بشعره بحيرة: «من عليه أن يبكي بالفعل هو أنا بكل المشاكل والمتاعب التي سببتها لي هذه الليلة».

«أنت متوحش» همست بصعوبة من بين حنقها ودموعها.

«أجل أعرف، وأنت طفلة مدللة وفاسدة ليس عليها التدخل بشؤون غيرها. أنت بعطلة. فتصرفي على هذا الأساس اذهبي بالنزهات.. انتعلي حذاءاً.. اسبحي اذا أردت.. لكن لا تقتربي من قاربي الا اذا دعوتك».

«ارحل.. فقط اذهب» همست ورفعت يدها الى شفاهها التي كانت ترتجف بشدة. وأخذ جسدها كله يرتجف من البرد والتعب وشيء اخر شيء لم تفهمه، ضعف خائن كان يهدد باجتياحها.

«بحق الله.. لا أستطيع أن أتركك وأنت بهذه الحالة. هل عندك ويسكي أو نبيذ.. أي شيء؟».

«كلا».

«كلا. وكأن لا أعرف ذلك مسبقاً. سأذهب لأحضر لك جرعة بهذا الوقت ارتدي بعض الملابس وسأعود بعد لحظة.. وأحضري منشفة لتجفيف شعرك».

لقد نسيت ذلك. وراقبته وهو يخرج وراودتها رغبة جامحة بإغلاق الباب خلفه.. لكنها لم تجرؤ على فعل ذلك فبإمكانه بسهولة خلع الباب حين يعود وهو بهكذا مزاج متفجّر، فسارعت بالركض الى الطابق العلوي.

حين عاد بعد دقائق كانت ترتدي البيجاما والروب وشعرها قد سرّح. رماها بنظرة واحدة من رأسها حتى أخمص قدميها وقال: «براندي.. أين كؤوسك؟».

«فقط.. فناجين.. في المطبخ».

تبعته ورأته يفتح خزانة الأواني ويتناول فنجانين صب بهم بعض

الشراب ثم ناولها احدهما.

«اشربيه» أمرها.

فعلت ذلك وأحست بلسعة الشراب تحرق بلعومها وشهقت. التأثير كان سريعاً. لقد جفت دموعها فوراً وأخذت تشعر بتحسن..

رفعت ذقنها وقالت: «بإمكانك الرحيل الآن. حقاً، أنا بخير. شكراً لك على الشراب».

«لا تذكري ذلك. هذا أفضل، كنت بدوري بحاجة للشراب. أتعلمين لست معتاد على اصطياد الفتيات من البحر بمنتصف الليل».

«لقد قلت أنني آسفة» قالت وهي تحدق به بتحدي: «ما كان عليك أن تقول أنك ستسجنني داخل المقصورة».

«ما كان عليك التسلل الى القارب» أشار بمنطق.

«هل سنمضي الليل بأكمله ونحن نتجادل بهذا الموضوع؟» سألته وهي تحدّق به دون أن تدري مدى جمالها وبراءتها المغوية بتلك اللحظة وتحت الضوء الخافت.

تلطفت عيون روبرتو للحظة فقط وقال: «أنت تعودين الى طبيعتك بسرعة لا؟».

«عليّ أن أفعل ذلك معك.. أنت متوحش».

كانا يواجهان بعضهما البعض بتلك الغرفة وضوء القمر في الخارج يلقي الظلال على وجهيهما بسبب ضوء الغرفة الذي يحيط بهذا الرجل.. وكان من الواضح أنها لن تجد أي سبيل للانتصار عليه.

بدأ يضحك بخفة وقال: «أتساءل ما الذي ستفعلينه اذا ما بدأت أنعتك بالألقاب التي تطلقينها عليّ دوماً؟ ستشعرين بالاهانة.. ولكن من المفترض بي حسب شريعتك أن أتقبلها منك..».

«لا أظن أن هناك أي شيء يشعرك بالانزعاج» ردت بحدة: «رجل

فظ مثلك..».

«فظ؟ ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟» بدا مستمتعاً وابتعدت هي قليلاً عنه لشدة حنقها. ها هي تتورط مجدداً بغباء بجدال آخر وهذا شيء تريد تحاشيه.

«لا تديري ظهرك لي فقط لأنك لا تحبين طرح الأسئلة» قال وأمسك بذراعها بخفة وأدارها نحوه مجددا: «لا تبدأي شيئاً لا تستطيعين انهائه».

«ظننت أنك كنت على عجلة من أمرك للعودة الى قاربك الثمين».

«بعد لحظة. أولاً دعيني أسمع لماذا أنا فظ، هل أنا أعض السيدات العجائز أما ما شابه؟».

«لا تكن سخيفاً.. واترك ذراعي».

«هذا كل ما تقولينه دوماً.. اتركني.. ألا تحبين أن يلمسك أحداً؟».

«ليس أنت بالطبع».

«هذه هي الطريقة الوحيدة لابقائك بالمكان ذاته» قال دون أن يفلتها: «اذن أنا فظ ايه؟ وهل أقبل كالفظين أيضاً؟».

«لا أعرف.. أنا..» تمتمت وشعرت فجأة بالارتباك وحاولت تحرير ذراعها لأنها أدركت أنه سوف..

«اذن دعينا نرى اذا ما كان باستطاعتي القيام بذلك بشكل رقيق ايه؟» وشدها نحوه برفق وصرامة وبدون أي مقاومة بدأ بتقبيلها. ليس لمرة أو لمرتين أو ثلاثة.. لقد نسيت العَد وبغرابة مذهلة شعرت ناتاشا أنها لم تقبل بمثل هذه الطريقة من قبل، أبداً والأسوأ من ذلك أنها أحست باستمتاعها بهذا العناق. وحالما أدركت هذه الحقيقة المذهلة حاولت دفع روبرتو ستافرو عنها.

«آه لا.. لا.. توقف..» توسلت.

«آه لا . . توقف» قلّدها بتهكم: «هل هذا ما تقولينه دوماً؟».

لكنه أفلتها فعلاً وكأنه قد تعب من هذه اللعبة. كانت غاضبة وتشعر بالخوف الشديد منه. لقد أذاها بطريقة لا تفهمها وأرادت بدورها أن تؤلمه بطريقة أيضاً لا تعرفها.

«أخرج من منزلي» صاحت: «الآن».

«أنا خارج . . عندي أشياء أهم أقوم بها من تضييع الوقت عليك. أنت لا تعرفين كيف تقبّلي بطريقة صحيحة» ضحك واتجه نحو الباب وتابع: «وسأعيد لك ملابسك في الصباح ولهذا فمن الأفضل لك تحضير قصة مناسبة لصديقتك . . فبعد كل شيء من غير الممكن أن تخبريها عن رحلتك الجاسوسيّة المتطفلة أليس كذلك؟».

ركضت ناتاشا نحوه لتصفعه، لتضربه لكنه كان قد رحل وصدى ضحكاته الساخرة تملأ المكان خلفه.

تململت ناتاشا بسريرها وحاولت دفع اليد الموضوعة عليها: «ابتعد عني أيها المتوحش!».

لماذا لا يتركها ذاك الرجل الفظيع وشأنها؟ ضحكة كارمن العالية أيقظتها من أحلامها وكوابيسها.

«اذن أنا متوحشة ايه؟» قال الوجه الذي أخذت ملامحه تتوضح أمام عيون ناتاشا الناعسة.

«كارمن! هذا أنت!».

ارتفع حاجب كارمن وسألت: «ومن توقعت؟ كلا، لا تقولي لي . . دعيني أحزر. آه . . روبرتو ستافرو؟ وماذا بالضبط كنت تحلمين بشأنه؟» وجلست على طرف السرير وعيونها الفضولية المستمتعة مركزة على صديقتها.

ذكرى كل ما حدث في الليلة السابقة عاد الى عقل ناتاشا وصديقتها تناولها فنجان الحليب الساخن.

«هيا يا حبي اشربيه قبل أن تتحدثي. تبدين وكأنك قد قضيت الليل في العراء . . وماذا تفعل هاتان البطانيتان على الأرض هناك؟».

«آه، كارمن» تأوهت ناتاشا بضعف: «لا أعرف من أين أبدأ. شيء مريع قد حدث البارحة . . ».

«يا الهي! ماذا؟».

«لا أعرف من أين أبدأ» قالت ناتاشا وهي تحتسي جرعة من الحليب الدافيء وتشعر بالألم بكل أعضاء جسدها.

«أقترح أن تبدأي منذ البداية» اقترحت صديقتها: «وهناك زجاجة ويسكي على طاولة المطبخ مع كأسين فارغين واذا ما تخيلت ما يدور بعقلي من أفكار فبإمكانك انهاء عذابي بإطلاعي على ما حدث».

ابتسمت ناتاشا لصديقتها فوراً وقالت: «يا الهي ما حدث البارحة كان مريعاً لكن ليس بالطريقة التي تعتقدين مطلقاً. انها قصة طويلة. كم الساعة الآن؟».

«قرابة العاشرة. لهذا أيقظتك. ما الذي فعلته بشعرك بحق السماء؟».

«أجل حسناً، انها قصة طويلة. آه كارمن! أنت تعرفين كم كنت مصممة على تفتيش قارب روبرتو ستافرو . . ».

«آه، كلا، كلا . . أنت لم تفعلي . . ».

«بلى فعلت» ردت ناتاشا: «لكم كنت حمقاء ومجنونة . . » وأخبرت صديقتها ما حدث والأخيرة مذهولة وعيونها متوسعة لسماعها كل خبر وحدث.

«يا رب السماوات» كان كل ما قالته كارمن حين انتهت ناتاشا من قصتها: «يا له من رجل».

«هل هذا كل ما بإمكانك قوله؟».

«لهذه اللحظة أجل. أنا مذهولة تماماً، أنا بحاجة لبعض الوقت

لأصحو من الصدمة».

«انه متوحش كامل» انفجرت ناتاشا بالقول وسهت عن قصد اطلاع صديقتها لا بل، اطلاع نفسها على حقيقة شعورها حين كان روبرتو يقبلها عشرات القبل في الطابق الأسفل. هذا شيء عليها مناقشته مع نفسها.. لكن ليس بعد، ليس الآن.

«همم.. أنت من يعرف ذلك دون شك» قالت كارمن ونهضت. بدا وكأنها كانت على وشك اضافة شيء آخر الا أنها بدلت رأيها وقالت: «سأهتم بتحضير الفطور لك. أنت بحاجة للتغذية بعد كل ما حدث» وخرجت.

كانتا بعد حوالي الساعتين متوجهتان نحو نزهتهما المقررة ولولا الثياب التي غسلتها ناتاشا ونشرتها في الحديقة لاعتقدت أن كل ما حدث معها في الليلة السابقة كان مجرد أحلام.

«هل حضرت كل شيء؟ السندويشات؟ العصير؟» سألتها كارمن.

«كل شيء بالاضافة الى الخارطة. أتساءل الى أي مسافة سنصل؟».

نظرت كارمن اليها بتسلية وقالت: «هذا يعتمد عليك أيتها الفتاة المسكينة المعطوبة. كيف حال قدمك؟».

مدت ناتاشا لها لسانها وقالت: «سأحيا. كان عليك رؤية العلامة التي على ذراعي من جراء شده لي من الماء».

«لا أستطيع الانتظار. ولكن، لا يزال هناك مسحة شاعرية رومانسية بما حدث صحيح؟».

«لو لم تكوني صديقتي الأغلى لاعتقدت أنك تكنين الاعجاب لذلك.. المتوحش».

ضحكت كارمن وقالت: «أنت تعرفين مدى اخلاصي لك بهذا. يا الهي، رجل مثله؟ انه ليس نموذجي المفضل!» لكن البريق اللامع

داخل عيونها لم يطمئن ناتاشا.

وتبخر روبرتو ستافرو من أفكارها وهما تسيران في الطبيعة الخلابة وتستمتعان بالتعليق على كل جمالات الطبيعة حولهما.

«لنجلس هنا لبعض الوقت!» اقترحت كارمن وهما على وشك الوصول الى قمة تلة صغيرة.

«حاضر».

وفرشتا الغطاء وجلستا بذلك المكان الرائع والبحر تحت أقدامهما بعيدا والطيور ترفرف فوقهما.

«أشعر وكأننا بعيدتان آلاف الأميال عن الحضارة» اعترفت كارمن: «لم يسبق لي أن تواجدت بمكان كهذا.. ولكني لست واثقة من ماهية شعوري بالعيش الدائم بهكذا مكان. انه ممتاز لعطلة، للاسترخاء لكني أتفهم تماماً سبب هجران الشباب لهذه الجزيرة».

«أجل» وافقتها ناتاشا ببطء وتفكير: «أعرف تماماً ما تقصدين بكلماتك هذه.. لكن..» وتوقفت.

«لكن ماذا؟» حثتها كارمن.

هزت ناتاشا رأسها وقالت: «لا أعرف. هناك شيء ما.. لا أستطيع تحديده.. وكأنه سحر ما..» نظرت الى صديقتها وتابعت: «كلا. انسي ما سمعته».

رفعت كارمن حاجبها: «تتحدثين عن السحر وتريدين مني نسيان الموضوع؟ اه هيا، أي نوع من السحر؟».

ضحكت ناتاشا: «لقد أخبرتك، لا أعرف. انه مجرد شعور بداخلي وكأنه وبغرابة كافية هذا المكان هو موطني.. اه، بإمكانك الضحك..».

«ومن الذي يضحك؟» قالت صديقتها بهدوء: «أجرؤ على القول أنه لو قرر زوجي العيش هنا لشعرت أنا بنفس شعورك هذا».

نظرت ناتاشا اليها بسرعة وقالت: «لا أفهم..».

«لا، لا، كان هذا تعليقاً غريباً مني» صححت صديقتها: «لا أعرف لماذا فعلت.. أنا أتضور جوعاً. هل نستطيع أن نتناول ساندويشاً الآن؟».

«بالطبع.. سنتناول الغداء مع النمط القديم داخل تلك القلعة القديمة هناك» قالت ناتاشا وهي تشير الى بقايا القلعة الضخمة البادية من البعيد.

الآثار كانت رائعة فعلاً وتطل على جزيرة قريبة بالغة الخضرة بالامكان الوصول اليها بقارب صغير وببعض التجذيف. فرشتا الغطاء وأخذت كارمن ترتب الصحون والمآكل عليها حين سمعت صوت ناتاشا يقول بدهشة: «ناس! هل تصدقين ذلك هنا اناس اخرون على تلك الجزيرة! لسنا الوحيدتان في العالم بعد كل شيء».

«هذا أمر مفرح» قالت وهي تتابع عملها: «يا الهي سأزن طناً كاملاً حين أعود الى روما. شهيتي مفتوحة بغرابة وأنا آكل كالحصان».

«أعرف» أجابتها ناتاشا: «الحمل هو السبب. أنت تأكلين عن شخصين الآن كما تعلمين. ولكن..» انتزعت عيونها عن الجزيرة المقابلة وألقت نظرة على وجبتهما متابعة: «أنا أتضور جوعاً بدوري.. وعليّ المحافظة على وزني..» لكنها لم تكن مركزة تماماً فشيء ما بالجزيرة المقابلة كان يسحرها.

«هل أحضرنا معنا المنظار المقرّب؟» سألت فجأة.

«لقد وضعته في داخل الحقيبة، بجانب كتاب الطيور الذي تسبب بالكثير من المشاكل. اذا ما كانت ذاكرتي جيدة فإننا سنقوم بمشاهداتنا عن الطيور اليوم؟!».

«أجل» وافقتها ناتاشا وهي تتناول المنظار بنفاذ صبر لتنظر الى الجزيرة المقابلة: «أجل سنفعل.. لكني أريد أولاً القاء نظرة على

تلك القرية الرائعة هناك» ووضعت المنظار على عينيها.

الرؤية الواضحة المقرّبة تجسدت أمام ناظريها ووجدت أن ما اعتقدته منازلاً كان عبارة عن أكواخ خشبية مصفوفة بشكل أفقي على طوال خط الشاطيء. ما أثار استغرابها وجود سياج شائك حول هذه الأكواخ، لحظات ثم لمحت حركة، رجل يرتدي بلوفرا أزرق اللون كان يدخل أحد الأكواخ بعد أن نظر الى جهتهما للحظات تلاشى بعدها داخل الكوخ. لاحظت ناتاشا وجود عامود ارسال ضخم على سطح أحد الأكواخ فأبعدت المنظار عن عينيها وقالت لصديقتها: «كارمن خذي القي نظرة على تلك الجزيرة».

«همم، ما الأمر؟».

«لا أعرف، وكأنها مخيم من نوع ما..» وتوقفت ناتاشا لرؤيتها وعبر المنظار رانج روفر تقترب من أحد الأكواخ ثم تلتف خلفه وتختفي.

«ربما» وافقتها كارمن المهتمة بالطعام فقط: «سنتناول فنجان من القهوة أيضاً. هل ترغبين؟».

«أجل من فضلك» ردت ناتاشا وهي تتابع عملها ورأت مجموعة من الرجال بزي داكن يظهرون أمامها عبر المنظار. ثم شيء بالغ الغرابة حدث. رفع أحد الرجال منظار الى عينيه ونظر مباشرة نحو ناتاشا وكارمن. للحظات قليلة ظلا يحدقان ببعضهما البعض عبر المنظارين قبل أن تنزل ناتاشا منظارها.

لاحظت كارمن انخطاف اللون من وجه صديقتها فهتفت: «يا الهي ما الأمر ناتاشا؟».

«انهم يتجسسون علينا» قالت ناتاشا بشهقة.

ضحكت كارمن وقالت: «من؟ وأين؟».

«آه، لا تنظري» تأوهت ناتاشا: «انهم يراقبوننا».

«حسناً أنت أيضاً كنت تراقبينهم . . انهم يردون لك ذلك» وحدّقت كارمن بالجزيرة أمامهم: «اه، أجل انهم يفعلون. يا للوقاحة، هيا بسرعة ناوليني مراتي».

«ماذا؟».

«مراتي من الحقيبة» رددت كارمن.

ففعلت ناتاشا ذلك وفهمت ما تقصده صديقتها فبدأت بالضحك وهي تشاهد كارمن توجه المرآة نحو الشمس وتحرفها قليلاً.

باللحظة الثانية أبعد الرجل المنظار عن عينيه واستدار مبتعداً.

«لا أحب أن يحدق بي أي شخص» أوضحت كارمن وهي تعيد المرآة الى مكانها: «هذا سيعلمه درساً. سيظل مبهوراً بالضوء لبعض الوقت».

«أنت تدهشيني» قالت ناتاشا: «لطالما اعتبرتك فتاة هادئة».

«اه، أنا كذلك، أنا كذلك لكني لا أحب أن يراقبني أحد أثناء تناولي للغداء، هذا هو مكاننا وليس مكانهم».

«لكني من بدأت بالنظر اليهم» اعترفت ناتاشا.

«أجل صحيح، لكن من الواضح أننا نبدو مجرد متنزهتين نقوم بتناول الغداء بسلام. من الطبيعي أن تلقي أنت بالنظر حولك. . لكنهم بتصرفهم مجرد فضوليين».

ضحكت ناتاشا بخبث وهي تشاهد جهة جديدة بصديقتها. فتناولت الساندويش وقالت: «أعتقد أنني سأتمتع بالغداء خاصة بوجود فتاة مثلك للاهتمام بي».

ضحكت كارمن وقالت: «لا تفكري بالأمر. لقد أثرت فضولي الآن، أعترف بذلك، أتساءل عن ماهية ذلك المكان هناك؟».

«سيطلعنا السيد جيمس على ذلك. هو يعرف كل شيء. . لحظة دعيني أطلع على الخارطة».

وفعلاً عرفتا أن اسم الجزيرة المقابلة هو لارنا لكن لم يكن من أية اشارات عليها. ولماذا يكون؟.

«لننسى أمر تلك الجزيرة» اقترحت كارمن: «سنفسد نزهتنا اذا ما بدأنا بالقلق بشأنهم. . ولماذا؟ اه، هذه هي الحياة!» احتست قهوتها بتلذذ: «أود استكشاف هذا المكان بشكل مفصّل في المرة القادمة أتساءل ان كان هناك دهاليز تحت الأرض».

عاد الهدوء والدفء ليسيطر على كل شيء حولهما، الرجال قد ذهبوا الطيور قد سكنت وتثاءبت كارمن متمتمة: «أستطيع الاستغراق بالنوم بسهولة الآن».

«ولمَ لا؟ نستطيع الاستلقاء على المعاطف. الطقس دافيء كفاية» قالت ناتاشا وهي تباشر بفعل ذلك. ثم تفحصت براد القهوة وتابعت: «هناك فنجانين بعد. سنشربهما بعد أن نستيقظ فأنا بدوري أشعر بالنعاس».

«اه. . بعد أحداث الليلة الماضية لا شك أنك بحاجة للنوم» قالت كارمن بصراحة وضحكتا قبل الاستعداد للنوم حين سمعتا صوت طائرة هيلوكبتر تمر من فوقهما تماماً وعلى مسافة قريبة جداً. لحظات وفاجأهما صوت رجولي.

«مساء الخير يا سيدات».

للحظات شعرتا بالذهول ورفعت ناتاشا رأسها لتجد أمامها رجلاً شاباً بشعر ذهبي وعيون زرقاء داكنة يحدق بهما وابتسامة بالغة الجاذبية تلون ملامحه الوسيمة. . وجهه كان مألوفاً. . فهذا هو الرجل ذاته الذي كان ينظر اليهما عبر المنظار قبل قليل.

نهضت ناتاشا فوراً وشعرت بالذنب لأن ابتسامته كانت دافئة وودية فأجابته: «أهلاً، كيف وصلت الى هنا؟».

«بالقارب. المنظر عبر المقرّب لا يشفي الغليل في الواقع. .

خاصة حين يتعرض المشاهد الى بريق الشمس. ولهذا فقد حضرت شخصياً لإلقاء التحية عليكما في حال أسأتما فهم دوافعي».

جلست كارمن بدورها وأخذت تبتسم للرجل وهي تشاركه رؤيته للوجه المضحك بهذه القضية.

«أمل ألا أكون قد سببت لعينيك الأذى سيد..؟».

«فان.. أنطوني فان انسة..؟».

«سيدة كارمن فلورانو» قالت وبما أنه كان ينتظر تابعت: «وصديقتي ناتاشا كليو».

انحنى وقال: «يسرني لقاؤكما. كلا لم تتأذى عيوني. كانت تلك حركة ماهرة منك سيدة كارمن. مع أننا وللعدل فقط كنا نرد لكما التحية. كنتما تراقباننا».

ابتسمت ناتاشا له. وهي تشعر بالاعجاب نحوه. فهو لم يكن بضخامة روبرتو ستافرو لكنه كان يقف كالجندي، بجسد رياضي ووجه بالغ الوسامة: «هذا خطئي أنا سيد فان..».

«انطوني من فضلك».

«انطوني» وافقته ناتاشا: «كنت أشعر بالفضول لرؤية المنازل، وكأنها كانت كذلك.. لكنها ليست منازل صحيح؟».

«كلا ليست كذلك. انها مريحة جداً من الداخل بصراحة لكني أوافقك الرأي أن مظهرها الخارجي ليس جذاباً. لم لا تعودان معي سوياً الى هناك؟ لإلقاء نظرة على المكان تنقصنا الرفقة الأنثوية نوعاً ما بهذا الوقت».

تبادلت الصديقتان النظرات وتابع انطوني كتشجيع: «لا يوجد أية شروط أعدكما بذلك. بإمكانكما البقاء للفترة التي ترغبان بها.. وفق مشيئتكما».

طأطأت كارمن برأسها موافقة وقالت ناتاشا: «حسناً فقط لبعض

الوقت. أنا واثقة أن عليك متابعة عملك.. أم أنك بعطلة؟».

ضحك بسحر وقال: «كلا، انه ليس مخيم عطلة، نحن نعمل.. ولكنكما ستتعرفان بأنفسكما على نوعية العمل حين تصلان الى لارنا. هل أحمل حقيبتكما؟».

ناولته اياها ناتاشا وتناولتا معاطفهما وتبعتاه نحو الشاطيء في الأسفل بخطوات منتبهة نظراً لشدة انحدار الشاطيء.

«هل تحتاجان للمساعدة؟» سأل انطوني.

«شكراً بإمكاننا تدبر الأمر».

القارب كان بمحرك صغير ولا شك أن صوت الطائرة هو الذي منعهما من سماعه لحظة وصوله. استغرقت الرحلة الى الجزيرة حوالي السبع دقائق فقط. ووجدت الفتاتان أن هناك مجموعة من ٥ رجال بانتظارهما على الشاطيء. من الواضح انهما كان يعلمان بعودة انطوني مع رفقة.

الرجال كانوا بالغي الطيبة واثنان منهما بعمر والدا ناتاشا وكارمن وكان الجميع يبتسم لهما بمودة وترحيب.

«يصعب عليّ تذكر كل الأسماء» اعترفت ناتاشا بعد أن عرفها انطوني عن أصدقائه وضحك الرجل الأكبر سناً.

«سنذكرك نحن بذلك فلا تقلقي» قال: «أنا طوم» استدار نحو انطوني وتابع: «أفترض أنه من المبكر جداً افتتاح الحفلة على شرف ضيوفنا؟».

نظر انطوني الى ساعته وقال بتفكير: «هذا يعتمد على أن تكون السيدتان تشربان الخمرة.. هل تفعلان؟».

ابتسمت كارمن وقالت: «ليس بمثل هذا الوقت المبكر عادة. لكن من فضلك لا تدع ذلك يمنعك».

«لن نحلم حتى بذلك» رد طوم ولم تدرك ناتاشا من كان الرئيس

بينهم لكن الجو كان ودياً ومريحاً وتابع طوم: «بإمكانك أخذهم بجولة على المكان أولاً طوني وستعرفان طبيعة عملنا. سأذهب وأتدبر أمر الطعام.. ستبقيان لتناول العشاء صحيح؟» النظرة كانت متوسلة: «نادراً ما تزورنا الفتيات الشابات»

نظرت كارمن الى ناتاشا وتفاهمتا بالنظرات على الموافقة فالجميع كان طيباً وودياً: «لسنا على عجلة من أمرنا لكننا لا نرغب بتعطيلكم عن العمل».

«أنتم لن تعطلونا عن شيء» أكّد لها الرجال بأجمعهم.

«هيا الى الجولة» حثهم انطوني الآن.

«على الأقدام؟» استفسرت كارمن.

«كلا بالرانج روفر. الطرقات هنا ضيقة وصخرية. بعد ذلك سأريكم المخيم.. وبعدها نفتتح الحفلة».

«يبدو هذا رائعاً» تمتمت ناتاشا: «لم نتوقع هكذا رحلة. هل سنشاهد حياة برية؟».

«يعتمد هذا على ما تقصدينه بتعبير ـ حياة برية ـ» قال بيتر: «هناك بعض حيوانات الفقمة على الجهة الأخرى.. لكنها ليست متوحشة».

«بيتر هو رجل الفقمة» أوضح طوم بمرح: «جميعنا علماء طبيعيون أم أنكما قد عرفتما ذلك؟».

هزت ناتاشا رأسها: «في الواقع لا!».

«الجميع يتخيل علماء الطبيعة كعجائز بنظارات سميكة!» قالت كارمن بمرح وانفجر الجميع بالضحك.

ذهب بيتر وانطوني معهما بجولة حول الجزيرة ودار الحديث بينهم بسلاسة الى أن قالت ناتاشا ما كان يجول بفكرها منذ بعض الوقت.

«هل تعرفون رجلاً يدعى روبرتو ستافرو؟ انه جاري بالمنزل

المجاور وهو يكتب كتاباً عن الطيور!».

شعرت ناتاشا ببعض التوتر المفاجيء الذي سيطر على الجو وتساءلت ان كانت هذه مخيلتها قبل أن يقول انطوني: «روبرتو ستافرو؟ الرجل الضخم. أجل، لقد التقيت به من قبل. عنده قارب جميل اليس كذلك؟».

«صحيح» ردت ناتاشا ولكزتها كارمن وكأنها تخبرها بذلك أنها شعرت بذلك «التوتر» أو ما شابه.

«انه جارك؟ يا له من محظوظ» تابع طوني بمرح.

«عليّ التحدث معك اذن مادام يؤلف كتاباً عن الطيور» قال بيتر: «بإمكاني اعطائه بعض المعلومات.. قد يكون عنده معرفة بأمور الفقمة أيضاً، من يدري؟».

«هذا ممكن. فهو يخرج برحلات صيد كثيرة على ما أظن.. لقد أحضر لنا سمكة ضخمة للعشاء قبل يومين» أوضحت ناتاشا وقلبها ينقلص لذكرى الليلة السابقة.

«عليكما تذكيرنا بإعطائكما بعض الأسماك قبل رحيلكما» قال انطوني: «نحن نعيش على الأسماك. فالأسماك هي غذاء العقل كما تعرفان».

وتابع الحديث بعد ذلك عن طبيعة عملهم وعرفت الفتاتان أنهم يكتبون الأبحاث الطبيعية عن كل الحياة البحرية والحيوانية داخل البحر وعلى الشاطيء.

«نحن نبقى بالمكان لسنة أو ما يقارب ثم يأتي بعدنا علماء آخرون لمتابعة المسير وننطلق نحن الى مكان جغرافي اخر» قال انطوني خاتماً حديثه.

كلامه وبيتر كان منطقياً لكن حدس ما داخل ناتاشا جعلها تشعر بعدم الارتياح لسبب مجهول بالرغم من لطافة وصدق الرجلين

وأصدقائهم واقنعت نفسها ان مخيلتها هي التي تومىء لها هذا.

أوقف انطوني السيارة وقال: «هل ترغبان بالسير على الشاطىء؟ هناك بعض الكهوف هنا وهي باردة ومخيفة. ستكون ممتازة لكتاب قصص الرعب».

«واذا كنا لا نكتب تلك القصص؟» سألت ناتاشا بابتسام.

«سيكون من الممتع القاء نظرة سريعة عليها. ستريان بعض حيوانات الفقمة أيضاً مع الكثير من أنواع الطيور..».

«اليس علينا حمل العصى؟» سارعت ناتاشا للقول.

ضحك بيتر وقال: «سنهتم نحن بكما. هيا، سنسير أمامكما. هناك بعض الأزهار التي أرغب أن أريها لكما».

سارا معاً وهم يتجاذبون أطراف الحديث بمتعة وتسلية وكأنهم يعرفون بعضهم البعض منذ أجيال وكان بيتر يشرح لهما عن كل نبتة وزهرة يمران بها وانتقل حماسه الى ناتاشا التي أخذت تركض نحو كل زهرة جديدة وتحاول أن تطبّق ما تعرفه من معلومات حولها. وصلوا الى الكهوف وخافت كارمن الدخول اليها فظلت هي وبيتر في الخارج فيما دخلت ناتاشا وانطوني لاستكشافها.

الكهوف كانت فعلاً باردة ومخيفة وسارعت ناتاشا بالخروج منها بمساعدة انطوني الذي كان يمسك بيدها ببراءة. نظرا للظلام الدامس الذي كان يتخلل ممرات الكهوف. شعرت ناتاشا انهما لو لم يسارعا بمغادرة المكان فإن انطوني كان ليحاول تقبيلها ولم تكن هي ترغب بذلك لسبب تجهله. لكن تصرفاته على كل حال كانت نبيلة ومؤدبة وأيضاً دافئة.

الغرابة الوصيدة بنزهتهما كانت عدم مشاهدتهما لأي مخلوق آخر مما دفع ناتاشا لتسأل: «هل يسكن العديد من الناس هنا؟».

تبادل انطوني وبيتر النظرات وقال الأخير: «فقط نحن».

ارتعشت ناتاشا وقالت: «يا للغرابة! هناك القليل أيضاً من السكان في مارغريتا وكلهم من العجائز».

«هذا جزء بعيد جداً عن ايطاليا لا تنسي ذلك» أوضح انطوني: «الشباب يرحلون الى المدينة والعجائز يموتون.. هذه هي الحياة».

«لكن هذا محزن» قالت ناتاشا وهم يقتربون من السيارة مجدداً بنهاية رحلتهم وأخذت تشعر بالتعب وبالجوع. فالساعة تقارب السادسة وعليهما العودة الآن!.

كان الباقون بانتظارهم في المخيم وقال طوم: «لقد جهزنا كل شيء. شاي فاخر ترحيباً بالضيوف الأعزاء» ساعدهما بالنزول من السيارة وتابع: «من هنا لو سمحتما».

دخلتا الى أحد الأكواخ حيث كان أحدهم قد رتّب الطاولة واعتنى بذلك بوضعه زهرية من الورود المختلفة وسط الطاولة.

«لا يأتينا الكثير من الزوار عادة» أوضح ستيفانو: «سأريكما مكان المغسلة. في الكوخ المجاور. هناك الوفير من المياه الساخنة اذا ما رغبتما بالاستحمام».

تركهما بالداخل وغادر مغلقاً الباب خلفه فنظرت كارمن الى ناتاشا وضحكت قائلة: «يا له من مكان غريب، كأنه معسكر انتظري حتى أطلع جونو على رحلتنا هذه!».

غسلت ناتاشا وجهها وقالت: «طالما أن لا أفكار خاطئة تخطر بباله».

أحدهم كان قد وضع منشفة قرب المغسلة فاستعملتها ناتاشا بامتنان.

«أشك بذلك. سيكون مستمتعاً ومتسلياً أكثر من أي شيء آخر. سأجعله يأتي الى هنا بعطلة قريبة حالما أعود».

«سأرحب بك بأي وقت» قالت ناتاشا: «سأعطيك مفتاح كوخي

كلما طلبته و. . سأكتفي برؤية روبرتو وهو يحاول ترحيل جونو».

«يا لها من فكرة. أتعرفين وبغرابة كافية أعتقد أن الأمور ستسير على خير ما يرام بينهما» قالت كارمن.

عادتا الى الجماعة ووجدتا الطعام جاهز فجلسوا وكانت أمسية رائعة بأحاديثها الودية وضع انطوني الموسيقى وطلب من ناتاشا مرافقته بالرقص ففعلت بسعادة ومر الوقت بسرعة دون أن تشعر بذلك. اختفى انطوني بعد ذلك وتساءلت ناتاشا عن مكان غيابه فيما كانت كارمن مشغولة بأحاديثها مع طوم وبيتر حول عمل جونو زوجها.

تمنت ناتاشا ألا يكون انطوني داخل دورة المياه لأنها كانت بطريقها الى هناك.

دقت الباب وحين لم يرد أحد دخلت المكان وحين غادرت مرت بطريق الصدفة من قرب الكوخ الذي يرتفع على سطحه الهوائي الضخم. صوت انطوني الذي وصل اليها من الداخل جعلها تقترب بعضوية من المكان لكن كلماته جعلتها تتسمر خارج الباب. كانت تعرف أن استراق السمع عملاً غير أخلاقي لكن كلماته أجبرتها وبحدس ما على التوقف والاستماع لأن الباب لم يكن مقفولاً وكان انطوني يتحدث بثقة لعلمه أن أحدا لن يسمعه.

«نحن متأكدين أنهما بخير. . أو تقريباً» فترة توقف ثم تابع مجدداً: «تعتقد أنك ستجد طريقة ما؟».

أكان انطوني يتحدث عبر الهاتف؟ هذا ما يبدو.

فترة صمت أخرى ثم: «حسناً، سنفعل ذلك. يوم واحد سيكون كافياً. اليس كذلك؟ أنت بالغ العناد والخبث بعدم اطلاعك لنا على شكلهما. الشقراء ساحرة فعلاً. . ».

وأدركت ناتاشا، أدركت. أنها وكارمن موضوع هذا الحديث ولم

يعد بإمكانها الابتعاد الآن حتى ولو أرادت ذلك.

صمت ثم: «وستقوم بالأمر على شكله الصحيح؟».

تسارعت نبضات قلب ناتاشا، هذا دون شك حلم مزعج. ثم سمعت الكلمات مجدداً: «أنا واثق أنك لست كذلك، لكننا لا نريد أن نثير شكوكهما. . في حال كان هناك شيء ما. حسناً، سنترك الأمر لك وسأرتب أنا الأمر هنا. سأتصل بك».

كان ينهي اتصاله وبسرعة كالخيال عادت ناتاشا الى المجموعة دون أن تصدر أي صوت وحين عاد انطوني للانضمام اليهم كانت قد استعادت أعصابها وتمكنت حتى أن تبتسم له وتوافقه على الرقص حين طلب منها ذلك.

«علينا الرحيل الآن» أوضحت ناتاشا بعد قليل: «حقاً. كانت هذه أمسية رائعة لكن الوقت قد تأخر والمسافة من القلعة الى منزلي تستغرق وقتاً طويلاً أيضاً».

«ومن قال أن عليكما السير؟» سألها بابتسام: «سآخذكما بالقارب الى الشاطيء المقابل لمنزلك».

«هذا رائع» قالت بارتياح: «لم تخطر الفكرة على بالي في الواقع».

«كلا فأنت كنت ترقصين على أرض الواقع لا؟ هذا أمر رائع تهبيني اياه كعامل مسكين لا تتاح له الفرصة بذلك دوماً».

ضحكت ناتاشا وقالت: «لقد استمتعت بالأمر فعلاً. وكذلك كارمن قد تمتعت بهذه السهرة».

تمنت لو كان بإمكانها سؤاله حول مكالمته تلك لكن سبباً ما دفعها للبقاء صامتة فهو لم يكن خبيثاً أو شريراً فقط وديا وبادي الصدق.

رقصا مجددا وتابعا التحدث وحين حل موعد رحيلهما كانت ناتاشا قد نسيت كل شيء عن تلك المكالمة.

رحلا أخيراً وكان الوداع حزيناً نوعاً ما وحين ركن انطوني القارب قرب قارب روبرتو ستافرو ساعدهما على النزول وقال: «هل تذكرتما كل شيء؟ هل اتي معكما لأوصلكما الى المنزل؟».

«نحن بخير شكراً لك» قالت ناتاشا بابتسام.

«جيد.. ايه..» بدا متردداً ثم قال: «عليّ الذهاب الى فلورانتا غداً لشراء بعض التموين. هل ترغبان بقضاء اليوم هناك؟».

نظرتا الى بعضهما البعض فهذه كانت فرصة رائعة لهما للتبضع: «أجل من فضلك» قالت ناتاشا فوراً.

«رائع. سآمر بكما حوالي التاسعة صباحاً اذن. لن نتأخر كثيراً هناك. حسناً، من الأفضل لي العودة فوراً والا فسيعتقدني الجميع قد أضعت طريقي. تصبحون على خير».

راقبتاه وهو يبتعد وصعدتا طريق المنزل وقالت كارمن: «اليس هذا رائعاً؟ يوم في الخارج».

يوم في الخارج!! الكلمات حركت شيئاً ما داخل أعماق ناتاشا هذا ما ذكره انطوني أثناء مكالمته الهاتفية. نظرت الى كارمن.. لكن ما الذي ستقوله لها. ستعتقد صديقتها أنها تتخيل الأشياء مجدداً. لربما هي كذلك فعلاً؟ قررت تناسي الأمر كلياً لكن شيء واحد فقط كان يقض أفكارها الا وهو مع من كان انطوني يتحدث؟.

ناتاشا وكارمن كانتا جاهزتان تماماً في الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي بانتظار وصول انطوني. كانت ناتاشا قد أعادت قبل ذلك البطانتين الى روبرتو ستافرو بوضعهما على شرفته والهروب سريعاً حتى لا تضطر لرؤيته.

تناولتا الفطور وحضرت كارمن لائحة المشتريات وكانت تنظر من النافذة وقالت بثقة: «سيحضر».

«أجل باللائحة الهائلة التي حضّرتها والتي لا يوجد عند السيد

مارتن ربعها فقط فأنت متشوقة دون شك لوصول انطوني» قالت ناتاشا بمرح: «أنا فقط أمل ألا يغرق قارب انطوني بكل ما ستشترينه».

ضحكتا وسمعتا صوت طرقة على الباب وسارعت ناتاشا لتفتحه.

«صباح الخير سيداتي» قال انطوني بابتسامته المشرقة وعيونه الضاحكة: «هناك العديد من المنازل هنا وكان عليّ طرقها جميعاً حتى أستدل بالنهاية على منزلكما. أنتما لم تطلعاني على الموقع بالضبط».

«صحيح. آسفة، هل ترغب بتناول القهوة قبل أن نذهب؟».

«لقد سبق وفعلت ذلك. لا تدعيني أمنعكما من ذلك اذا ما أردتما احتساء القهوة أولاً».

«كلا نحن جاهزتان. لقد حضرت كارمن لائحة مشتريات. آمل فقط ألا يغرق قاربك من الوزن».

«لقد سمعت ذلك» قالت كارمن التي اقتربت منهما: «لا تهتم لها انطوني فإذا ما عاد قاربك محملاً بالأشياء فإنها ستكون أشياء ناتاشا».

«أرجوكما» قال بمرح: «لا مجادلات! بإمكانكما سوياً التبضع قدر ما تشاءان. أنتما لا تعتقدان أنني سأنقلكما الى المدينة بواسطة ذلك القارب الصغير، صحيح؟» النظرة المتبادلة بينهما أعطته الرد فضحك وتابع: «تحضرا للصدمة اذن، قارب صديقكما الضخم يعتبر نقطة ببحر أمام قاربي، أؤكد لكما ذلك».

وبعد خمس دقائق تحققتا من صدق كلامه فإلى جانب قارب روبرتو كان يرسو قارب ضخم فاخر محفور على جانبه اسم «الطائر الثاني».

«أتساءل من كان الطائر الأول» تمتمت ناتاشا لكارمن وهما

تصعدان القارب الرائع بمساعدة انطوني.

«تصرفا وكأنكما في منزلكما» قال انطوني وهو ينطلق بالقارب بعيداً عن الشاطيء.

نزلت كارمن الى المقصورة وبقيت ناتاشا الى جانب انطوني قرب الدفة.

«هل ترغبين بالقيادة؟» سألها.

«آه وهل أستطيع ذلك فعلاً؟ هذا القارب ليس ملكك صحيح؟» قالت وهي تستلم الدفة منه حيث ظلت يداه فوق يداها لحظات.

ضحك وقال: «آه كلا وهل أبدو ثرياً لهذه الدرجة؟ انه لطوم وبيتر، يتشاركان بامتلاكه ويحضرانه الى الجزيرة بين الحين والآخر».

الرياح جعلت شعرها يتطاير ويدخل عيونها فسارع انطوني لابعاد خصلاتها الجامحة.

«عندي قبعة في حقيبتي» قالت: «سأحضرها حالاً».

«كلا، ابقي مكانك سأحضرها أنا لك» قال واختفى.

وشعرت ناتاشا بالذعر للحظة لادراكها أنها وحدها المسؤولة عن تسيير القارب لكن الاثارة تملكتها وركزت على القيادة وشعرت بالسحر والجمال والقارب يشق عباب المياه بحدة القاطع تاركاً خلفه خطاً أبيضاً: «هذا رائع».

«انه كذلك فعلاً! أنت لا تعرفين ما الذي كنت تفتقدين اليس كذلك؟» نظرت اليه، جملة بسيطة، المعنى بسيط ويستحق جواباً عادياً أعطته وهي تضحك بموافقة. لكن حقيقة عميقة كانت تكمن داخل هذه الكلمات، لأنها لم تدرك فعلاً ما الذي كانت تفتقده بحياتها قبل وصولها الى مارغريتا. بالرغم من كل شيء، بالرغم من عدائية الرجل الذي يسكن قربها والذي لا يغادر أفكارها رغماً عنها

ولا للحظة واحدة الا أنها لم تشعر بالرضى والقناعة التي تشعر بها على متن مارغريتا. الحياة في روما لن تكون كسابقة عهدها. الحياة في روما.. يا لهذه الفكرة الغريبة.

«هل ترغب بالقهوة؟» سألت ناتاشا.

«اذا ما شاركتني باحتسائها. هل بإمكانك تدبر أمرك بمفردك؟».

«بالطبع، فوراً.. سيدي» قالت وهي تسلمه الدفة وتنزل الى المطبخ.

وصلوا بسرعة الى المدينة استطاع انطوني أن يرسو بالقارب بمهارة وسط المراكب الأخرى في الميناء. الشمس كانت ساطعة والسماء صافية وكل شيء كان مثالياً.

«اسمعا سأترككما لشراء حاجياتكم فيما أشتري أنا حاجياتنا و.. سنلتقي هنا بعد ساعة من الآن؟ بعدها سنضع الأغراض في القارب وسأريكما بعض معالم المدينة».

«يبدو هذا رائعاً» وافقتاه الصديقتان. وأضافت ناتاشا: «وماذا عن الغداء؟».

«سنتناول ذلك قبل القيام بجولتنا والتبضع سيفتح شهيتكما على الطعام. أعرف مطعماً رائعاً هنا. حسناً؟».

تركهما انطوني بأول السوق وتجولت الفتاتان داخل المحال الرائعة الصغيرة والتي كانت تعرض عشرات الأشياء الساحرة.

«المكان هنا يختلف تماماً عن مارغريتا صحيح؟» سألت كارمن.

«أجل، صحيح» ردت ناتاشا.

كل شيء كان يسير على مهل هنا، النسوة تثرثرن عند أبواب المتاجر وكان الجميع يبتسم لها ويفسح لهما الطريق. الناس كانت ودودة وطيبة. لربما هم معتادون على السواح ويرحبون بهم. وكان من الممتع الاستماع للغتهم وهم ينطقون باللغة الايطالية.

عادتا أخيراً الى القارب وهما محملتان بالأشياء والبطاقات والمشتريات. انطوني كان قرب القارب يتحدث مع رجل قصير القامة. حياهما الرجل وابتعد فوراً فاستدار انطوني لهما وقال بابتسامته: «يا لكما من دقيقتان في المواعيد! لقد وضعت أشيائي بالقارب سأساعدكما بنقل مشترياتكما» وتناول الأكياس منهما وقفز الى السطح.

حين اختفى داخل المقصورة سألت ناتاشا: «أتساءل من كان ذلك الشخص؟».

ابتسمت كارمن لها وسألتها: «لم لا تسأليه؟».

«لا يهم» رددت ناتاشا.

تناولوا الغداء في مطعم جميل على الشاطيء وأخذت ناتاشا ترمي فتات الخبز لطائر نورس صغير كان تحت النافذة.

«سيتبعنا طوال النهار اذا ما ظللت ترمي له الفتات ناتاشا» قال انطوني.

«جيد. سيكون طائرنا الأليف في مارغريتا» ردت كارمن بمرح.

«آه، لكن ماذا سيحدث حين تعودان الى روما؟».

«سيهتم روبرتو به» ردت ناتاشا بخفة: «فهو رجل الطيور المحلي بعد كل شيء».

«ربما. كم سيطول بقاؤكما في الجزيرة على كل حال؟».

لامست ناتاشا قدم كارمن بحذائها وقالت: «لا تعرف. لم نقرر ذلك بعد اليس كذلك كارمن؟ أنت لا تحاول التخلص منا مثله انطوني اليس كذلك؟».

«أنا؟» ضحك وانتظر ابتعاد النادلة السمراء قبل أن يتابع: «وهل يحاول هو التخلص منكما؟».

شعرت ناتاشا بالندم لنطقها بذلك، فهي لا تريد فتح سيرته من

الأصل ولكن يبدو أن له طريقته بإفساد مزاجها حتى عن بعد.

هزت رأسها وقالت بابتسام: «انها مجرد مزحة.. هو لا يحب الغرباء».

«آه، لن أقلق لذلك. فبعض الرجال هم من هذا النوع.. يعتقدون أنهم يملكون المكان. لا تدعاه يزعجكما، لو كنت أنا جاركما كنت لأتصرف بطريقة مختلفة كلياً صدقاني».

وتحول الحديث لأمور أخرى. لكن شعور غريب راود ناتاشا وكأن هناك كلمات كثيرة لم تقال وأن هناك شيء ما خاطيء. نسيت كل شيء حين غادروا المطعم وأشار انطوني الى سيارة ب. م حمراء رائعة ومكشوفة وقال: «سنقوم بجولتنا على المدينة الآن» وحين رأى ملامحهما المذهولة تابع بضحك: «هيا، أنا لم أسرق السيارة، أنا فقط استأجرتها من ذلك الرجل الذي كنت أتحدث معه لحظة وصولكما. انها الطريقة الفضلى للقيام بالنزهة. نقودها بالسرعة التي نريد وبإمكاني دلكما على أجمل الأماكن ونحن نسير بها».

الأسماء كانت غريبة وموسيقية والمنازل كانت على نفس النمط تقريباً من البساطة والجمال. المناظر الطبيعية كانت ساحرة فعلاً. وأشار انطوني الى بقعة بعيدة قرب الشاطيء وقال: «تلك هي جزيرة موران.. انها غير مأهولة مطلقاً ويسكن بها طائر الفيورني النادر.. أراهن أن صديقكم روبرتو ستافرو قد زارها».

«سأسأله عن ذلك حين أعود» ردت ناتاشا بجفاف. كانت تجلس قرب انطوني بالمقعد الأمامي فيما كارمن تستمتع بالمقعد الخلفي المريح.

ساروا على الشاطيء وطاردهم أحد الطيور بهجوم صاعق تمكن انطوني من صده فقط باستعماله لعصى وجدها على الرمال. ركضوا بسعادة نحو السيارة مجدداً وضحكاتهم تملأ الهواء.

وضع انطوني العصا على أرض السيارة وقال: «قد نحتاج لها مجدداً. قلت لكما أن بإمكاني الاعتناء بكما».

«يا بطلي» تمتمت ناتاشا.

نظر اليها ثم أدار محرك السيارة وقال بخبث مرح: «هذه هي المرة الثانية التي تكونين بها وقحة هذا اليوم. فقط انتظري».

بقية الرحلة تلونت بالضحكات والنكات وهما يعودان الى القارب استعداداً للعودة.

ركن السيارة قرب المرفأ وقال: «والآن هل هناك شيء أخير ترغبان بشرائه من هنا؟ معظم المحال تغلق في الساعة الخامسة فأمامكما نصف ساعة فقط».

«كاتو» هتفت ناتاشا: «لم نشتري الكاتو. رأيت قطع رائعة داخل واجهة أحد الأفران» نظرت الى انطوني وسألت: «هل بإمكاني الذهاب؟».

«بالطبع! أتريدين أن أرافقك؟».

«كلا، سأجده بنفسي. لن أتأخر».

سارعت ناتاشا للتوجه الى محل الحلوى واختارت ألذ القطع ثم سارعت بالعودة وهنا كادت أن تصطدم برجل ظهر فجأة من خلف الكوع. ولولا سرعة تحركه بحمل الكرتونة لتناثرت القطع على الأرض.

«أعتذر» قال الرجل الذي كان يبدو كالبحارة لكن بلكنة غريبة بصوته.

ابتسمت له وعادت الى حيث كان انطوني وكارمن.

«اذن ما الذي حدث؟» سألها انطوني بخفة.

«كدت أن أطعم الكاتو للاسفلت. كان الرجل غريباً كما يبدو. أتساءل عن جنسيته؟».

«روسي؟» اقترح انطوني.

نظرت ناتاشا بحدة نحوه: «روسي؟ آه».

«لا تكوني مذهولة هكذا، هناك المئات منهم هنا. بالاضافة للنروجيين، البلغار والرومانيين.. بإمكانك الاختيار» قال وهو ينظر اليها باستمتاع.

«لقد أحضرت لك قطعتين من الكاتو انطوني».

ضحك وقال: «وهل أبدو وكأني أتضور جوعاً؟ شكراً لك على كل حال ناتاشا».

«أجل وستتناول العشاء معنا هذه الليلة».

ابتسم لها وقال: «شكراً يسرني ذلك حقاً».

وهذا ما حدث فعلاً وحين رحل انطوني أخيراً دعاهما لقضاء يوم الأحد مجدداً على متن جزيرة لارنا فوافقتاه بسعادة.

نظرت كارمن الى ناتاشا نظرة ذات معنى وقالت: «بإمكاني ادعاء المرض أو التعب يوم الأحد كما تعلمين ناني..».

«هيا كارمن لا تنظري اليّ بهذه الطريقة التي أعرفها تماماً. أنا أجد انطوني جذاباً أجل. لكن كمجرد صديق هذا كل شيء».

«بالطبع» ردت كارمن بخبث مرح: «أجل سأشعر بالتعب يوم الأحد بعد كل هذه الرحلات والنزهات. الحياة لن تعود الى سابق عهدها حين نعود الى روما».

«صحيح. ليس كسابق العهد..» وتوقفت ناتاشا. من المضحك أن تتفوه كارمن بهذه الكلمات. فهي قد شعرت بالاختلاف منذ لحظة وصولها الى هذه الجزيرة ويزداد هذا التغيير داخلها مع مرور كل يوم.

صعدت ناتاشا الى غرفتها لتبديل ملابسها فيما دخلت كارمن المطبخ لتحضير الحليب.

جلست ناتاشا على طرف سريرها كعادتها حين تريد التفكير بشيء

ما وكانت معتادة على النظر الى انعكاس صورتها من موقعها هذا بالمرآة الموجودة أمامها. سرحت للحظات ثم غمرتها الدهشة. المرآة لم تكن بالزاوية المعتادة كما كانت في الصباح. نهضت ناتاشا بدهشة وأصلحت من موقع المرآة. أجل هكذا لكن ما الذي حرّك المرآة الثقيلة من الصباح في حين أن المنزل كان خالياً؟؟ تفحصت بعيونها أغراض الزينة الموجودة على المرآة فوجدت كل شيء بمكانه باستثناء علبة الكريم المبتعدة قليلاً عن مكانها المعتاد. تحرك عقل ناتاشا بسرعة وبدأ الخوف يتغلغل بداخلها لا شك أن أحدهم دخل المنزل بغيابهم! فتحت الجوارير فوجدت كل شيء بمكانه لكن مع انحرافات بسيطة هنا وهناك وعاد ذلك الشعور الغريب يمتلكها وتأكدت من ذلك حين وجدت أوراق الرسائل بالجارور الأخير بمكان مختلف قليلاً عن مكانهم السابق. سارق؟ في مارغريتا؟ هذا مستبعد! وأيضاً لا شيء قد سرق منها ولا حتى مجوهراتها الموجودة في الخزانة!.

لقد فتّش أحدهم غرفتها لكنه لم يسرق شيء. لكن من؟ وعادت ذكرى مكالمة انطوني الى عقلها لقد ذكر شيء ما عن غياب لمدة يوم. الهذا طلب اصطحابهما الى المدينة هذا اليوم بالذات.. ليمنح أحدهم الفرصة بتفتيش منزلهم وممتلكاتهم الخاصة بدقة متناهية؟ أسم شخص واحد قفز الى ذهنها على الفور: روبرتو ستافرو.

نزلت ناتاشا الى الأسفل والغضب العميق يتأجج داخلها ولم تشأ اطلاع كارمن على ذلك لأنها لا تريد ازعاجها مقابل أي شيء.. لكن هي لن تنام الا حين تعرف الاجابة على السؤال الأوحد الذي يدور بعقلها الآن.

«لن أتأخر» قالت لكارمن وهي تبتسم: «سأتحدث مع روبرتو ستافرو للحظات».

«ماذا؟» شهقت كارمن بدهشة: «لماذا؟».

«لأخبره عن جزيرة موران وأسأله اذا ما كان يريد استرجاع كتابه».

«حسناً، لا تتأخري».

«لن أفعل» قالت لها وهي تدرك أن سؤالها له لن يستغرق الكثير من الوقت.. مع أنها لم تكن متأكدة مما سيكون رده عليه. الغضب كان يزداد داخلها مع كل خطوة.. اذا ما أصبحت توقعاتها فإن انطوني أيضاً اللطيف والبادي البراءة سيكون متورطاً بدوره. يصعب تصديق ذلك لكن يبدو أن هذا هو التفسير المنطقي الوحيد.

دقت على بابه. الضوء كان يظهر من الداخل وطرق مسامعها صوت موسيقى وهو يفتح الباب ويندهش لرؤيتها.

«مساء الخير» قال: «لقد وصلتني البطانيات».

«لم آت لهذا الشأن» قالت بصراحة: «ألن تدعوني للدخول؟».

«اذا أردت» قال وتنحى مفسحاً لها المجال للدخول.

شعرت بالتطفل لأن جو الغرفة كان دافئاً وخاصاً لكن عليها توضيح هذا الأمر والآن. الغضب كان يتأجج داخلها وخشيت فقط أن تفقد أعصابها فأخذت نفساً عميقاً. لا فائدة من سؤاله.. هل أنت من فتّش غرفتي؟ فالجواب سيكون بالطبع كلا. عليها الادعاء أنها واثقة من ذلك.

«لقد تركت شيئاً خلفك حين فتّشت منزلي هذا اليوم» قالت وأبقت عيونها على وجهه لتحري ردات فعله.. ورأت رد الفعل لكنه لم يكن الذنب بل فقط الدهشة. فقد ارتفع حاجباه وقال: «حين ماذا؟».

«لقد سمعتني. لقد دخلت الى منزلي وفتشت كل شيء بدقة».

«لا شك أنك مجنونة» قال بوضوح وهدوء.

أرادت أن تهزه بعنف لكنها قالت: «لست مجنونة. أنت كذلك. هل أبدو حمقاء؟ لقد سمعت انطوني يتصل بك البارحة.. ثم دعانا

الى المدينة وذهبنا وفيما نحن هناك دخلت أنت المنزل..».

«انتظري لحظة» قاطعها: «وكيف دخلت أنا منزلك.. ومن هو انطوني هذا بحق الجحيم؟».

«لن يكون الدخول صعباً عليك.. ولا تدّعي أنك لا تعرفه لأنه يعرفك انه طويل القامة وأشقر الشعر ووسيم الملامح..».

«اعفيني من التفاصيل» قال: «لكن هناك شيء واحد صغير يا فتاتي العزيزة. ليس عندي جهاز هاتف» نطق الكلمات الأربعة الأخيرة ببطء وهدوء شديدين.

للحظة شعرت ناتاشا بالصدمة. ثم وجدت صوتها مجدداً فقالت: «صحيح، لكني لا أهتم. قد يكون جهاز ارسال اذن».

وطارت عيونها الى الطابق العلوي لو أن بإمكانها فقط القاء نظرة..

«هذا يزداد ميلودرامية كل لحظة» قال بنصف ملل ونصف تسلية واذا ما كان يقول الحقيقة، فكرت ناتاشا، فإنه كان ليقفز بجنون أمام اتهاماتها لكنه هادىء ومؤدب وهذه ليست صفاته المعتادة. قاست بعقلها المسافة الى الطابق العلوي فقط لو أن بإمكانها..

«آه، أشعر بالدوار» وضعت يدها على رأسها وتابعت وهي تترنح قليلاً: «هـ.. هل لي بكوب.. كوب ماء من فضلك؟» رأت تردده فارتمت على الكرسي القريب بتهالك.

بشتيمة خفيفة استدار ودخل المطبخ فقفزت هي كالبرق الى السلالم.

تصميم منزله كان نفس تصميم منزلها مما سهّل عليها الأمر.. الباب.. الباب كان موصداً.. وخطوات روبرتو ستافرو كانت تصعد السلالم وتصل اليها وأدارها لتواجهه.

«أيتها الـ..» لم يكمل الشتيمة التي كانت على لسانه ورفعت

ناتاشا نظرها اليه ورأت الغضب الداكن داخل عيونه وبكل رعب أخذت تصارعه.

«أتركني.. أتركني».

«كالشيطان سأفعل! تأتين الى هنا وتتهميني.. تدّعين الدوار.. يا الهي أنت زبون بارد..».

«أعرف أنك تنوي الشر.. أنت وكل الباقين.. أنا أكرهك».

«اسمعيني، يجب أن تنسي كل هذا الهراء..».

«وكيف بإمكاني ذلك؟» تنفسها كان لاهثاً الآن ويداه على كتفيها، الهبوط كان مظلماً وشعرت ناتاشا بالرعب، بالخوف كما لم يحدث لها بحياتها كلها من قبل مما جعلها تشعر بالعجز الكامل والضعف الشامل. عليها الابتعاد عنه وحالاً لأنه قد يفعل بها أي شيء؟ لكن فكرة واحدة كانت تلح داخلها كارمن. كارمن صديقتها التي قد تتعرض للأذى..

«لا يهمني ما الذي ستفعلونه بي. لكن أرجوك اتركوا كارمن.. هي لا تعرف شيئاً.. هي تعتقد أنني جئت الآن لأخبرك عن جزيرة العصفور.. لكن يجب ألا تؤذيها.. انها.. انها حامل..» الأرض كانت تميل الآن تحت بصرها وبريق أبيض أخذ يلمع أمام ناظريها وبغموض فقط سمعته يقول: «أي نوع من الوحش تعتقدين..» ولم تعد تسمع شيء لأن شيئاً لم يعد يبدو أمامها.

«حسناً بإمكانك التوقف عن القتال» كانت الكلمات تصلها من البعيد وفتحت ناتاشا عيونها. كانت مستلقية على سرير ما وروبرتو ستافرو كان يراقبها من كرسي قريب. «أنت بأمان كامل» تابع بجفاف: «أقصد أنه لو يوجد عندك أي حالة صدمة أو ما شابه الآن. ولهذا فقط استرخي» وابتسم.

لقد ابتسم فعلاً. وتوسعت عيونها ماذا الآن؟ حين يكون غاضباً

تعرف على الأقل موقعها أما الآن!!.

«أتريدين الجلوس؟» سألها.

«أجل» قالت وجلست قبل أن يصل ليساعدها على ذلك.

«حسناً. لقد اعتقدت اغماءك حيلة أخرى من حيلك لكن حين ارتميت بجسدك المتثاقل عليّ أدركت أنك لا تمثلين».

توقف قليلاً ثم تابع ببطء: «أعتقد أن الوقت قد حان لنا للتحدث قليلاً».

لكن فجأة لم تعد هي راغبة بالاستماع فقد بدأت: «كلا.. يجب أن أغادر..».

«ليس بعد. ليس بعد يا حبي».

نظرت حولها بذهول. لقد ناداها «حبي». اليس هذا شيئاً مضحكاً طالما أنه يكرهها؟.

«أنت على حق. لقد دخلت منزلك اليوم وفتشت أغراضك وأغراض كارمن بدقة.. وانطوني متورط بذلك.. وأنا من اتصل به البارحة.. ليس عبر الهاتف بل بجهاز الإرسال كما فكرت بذكاء.. وكنت أحاول التخلص منك، لكن ليس بعد الآن».

لم تجرؤ ناتاشا على النطق. أخذت نفساً عميقاً، ابتسمت له نصف ابتسامة وكأنه شعر بما بداخلها فقد سأل برقة: «لا يوجد أسئلة؟».

«أنت ستطلعني على السبب؟».

«أجل. أنا أدين لك بذلك. آسف لأنني كنت مضطراً أن أفعل ذلك.. لم يكن ذلك بخاطري صدقيني. لكنه كان اجراءاً ضرورياً».

«لماذا؟» التوسل كان عميقاً. لماذا قلبها يتألم لهذه الدرجة؟.

«لأننا لم نعرف من تكونان.. لم نكن واثقين منكما. وكل ما كنت تفعلينه كان يدفعني للاعتقاد.. أنكما كنتما تدبران شراً..».

«أنا لا أفهم» قالت بانفجار: «لا أصدق..» وشعرت بشبه دوار.

«أظن أنه من الأفضل لنا النزول الى الأسفل. كوب الشاي الذي كنت أحتسيه قد برد الآن دون شك. سأصنع المزيد.. هيا تعالي».

أنزلت ناتاشا قدميها على الأرض ووقفت.

«بإمكانك ذلك؟» سألها.

«أجل، شكراً لك».

نزل وتبعته هي الى المطبخ والشك يسكنها.

«سنشرب الشاي ثم نتحدث» قال.

«وماذا عن كارمن؟ لقد أخبرتها أنني لن أتأخر» قالت بوهن.

«لربما من الأفضل لها أن تسمع ما سأقوله بدورها، هيا سنذهب اليها الآن».

«لكن..».

«هيا» حثها وسار أمامها.

اندهشت كارمن لرؤيتهما معاً وتوسعت عيونها لرؤية روبرتو الذي دخل الغرفة لكنها وكعادتها بالتماسك قالت فقط: «سأحضر فنجان قهوة بالحليب اضافي. لن أتأخر للحظة».

انتظر عودتها وبدأ: «أنا أدين لكما بالشرح فقط قاطعاني اذا ما قلت شيء غير واضح. حسناً؟».

طأطأتا برأسيهما فقال: «حسناً، اذن سأبدأ. لقد ساورتك الشكوك بشأني منذ البداية ناتاشا وكان لك الحق بذلك. أنا لا أؤلف كتاباً عن الطيور وانطوني وجماعته لا يمتون لعلماء الطبيعة بصلة. نحن جميعاً هنا نعمل مع الحكومة وبكل صراحة لقد شككنا أنكما الاثنتان جاسوستان حسناوتان».

بعد هذا الاعلان المذهل حظي روبرتو بالانتباه الكلي. نظرت الصديقتان الى بعضهما البعض ثم وبصمت اتجهتا بكليتهما الى

الشاب الضخم.

ابتسم روبرتو وقال: «حسناً، لربما أنا لا أتقن تماماً من الكلام لكن صدقوني لقد تسببتما بالكثير من القلق والتقصي بوجودكما هنا. مع أن ما اكتشفناه أن وجودكما بريء جداً وعادي. لكن هذا كان مجهولاً لنا في البداية وكان علينا التأكد منكما» نظر الى كارمن وتابع: «وأنت ساعدت بذلك كارمن. تلك الرسالة من زوجك..».

«أجل؟» هتفت كارمن وابتسم روبرتو باعتذار.

«آسف. أنا فعلاً آسف. لكن عنوانه أصبح لدي وأجريت تحرياتي اليوم وهو بدوره يعمل للحكومة صحيح؟».

«أجل، لكني لا أرى العلاقة..».

«لا، لكنك ستفعلين بعد دقائق. لقد تم التحري بالكامل عنه وعنك.. وعن أصدقائكما المقربين. نحن نعرف ذلك» نظر الى ناتاشا وتابع: «مما يوضح موقعك بدورك.. مع أننا تحققنا بشأنك أيضاً ووجدناك فعلاً من تدّعين.. عارضة أزياء من الدرجة الأولى في روما، عاملة مجدة وناجحة وابنة شقيق الرجل الذي كان يسكن هنا..».

«لحظة» قاطعته ناتاشا: «أنت تطلعنا على الكثير من الأشياء المتعلقة بنا والتي نعرفها. لكن ماذا عنك أنت؟ أي نوع عمل للحكومة تقوم به ويجعلك متحمس جداً من.. من الجواسيس؟ الجواسيس» رددت باحتقار: «لم يسبق لي أن سمعت شيئاً بالغ التفاهة و..».

«انتظري من فضلك» قاطعها بابتسامة جميلة: «لقد سمعت بجهاز الانذار المبكر دون شك؟ والذي يمتد من تركيا حتى أوروبا.. انه يشكل سلسلة مترابطة لحماية بلدان المنطقة من أي هجوم صاروخي أو حتى ذري من القوى التي تشكل بؤر الخطر في العالم. هناك بعض

القواعد لنا هنا أيضاً وعلى الجزيرة الأخرى. انطوني وأصدقاؤه معنا أيضاً. هذا كل ما بإمكاني اخباركما به لأسباب واضحة لكني أؤكد لكما أن وصولكما كان مفاجأة كبرى لي. أنا معتاد على التواجد هنا بمفردي، أقوم بالأمور على طريقتي. لقد علقت بذكاء ناتاشا حين ذكرت أن كل من يقطن هذه الجزيرة هو من العجائز هذا صحيح. وهم يتركوني وشأني لأني رسمت لنفسي صورة المهتم بالطيور.. وهذا ما يصدقه الجميع. أما بالنسبة لابن سيدة ستيفنسون فأنت تعلمين الآن أين يعمل.. ولهذا فقد قاطعت حديثها لكما في تلك الزيارة.. وأقسم أن الأمر كان مجرد مصادفة حين التقيت بكما هناك.. لكن يبدو أنكما كنتما تتجولان كثيراً بالمنطقة مما كان يثير شكوكاً».

«لماذا دعانا انطوني اذن الى المخيم مادام عملكم سرياً؟» سألت كارمن.

ضحك وأجاب: «لم يكن من شيء لتشاهدوه اذا ما كانت نواياكم سيئة. وما هي الطريقة الأفضل من هذه لازالة شكوكما؟ غطاءهم كعلماء طبيعيون كان أفضل طريقة. بيتر، كما لاحظتما هو خبير أزهار.. وكذلك انطوني بالنسبة للطيور. ولا شك أنكما قد عدتما من الجزيرة ورأسيكما تدوران من الأرقام والحقائق!».

الآن وبعد أن تلاشت لحظة الصدمة الأولى نظرت ناتاشا الى روبرتو ورأته بشكل جديد تماماً الآن بعد أن زالت العدائية والقسوة من ملامحه. لقد اتهمته بالكثير من الأشياء الخاطئة فيما هو مجرد رجل بعمل صعب. وكيف كان شعوره حين وجدها على متن قاربه بتلك الليلة؟.

«روبرتو. أنا أدين لك بالاعتذار. حين صعدت الى قاربك تلك الليلة، كنت أعتقدك.. مجرماً أو مهرباً».

«أعرف. لقد أوضحت ذلك بشكل جلي.. وبنفس الوقت منحتني مشاعر متناقضة أكثر نحوك، تستطيعين التأكد من ذلك».

نظرت الى يديها وهي تتمنى فجأة لو أنها لم تتفوه بأية كلمة، فقد تذكرت سيل القبلات ذاك..

تابع بسرعة وقال: «ولهذا حين أعطاني انطوني تقرير زيارتكم للمخيم اقترحت عليه ابعادكما لمدة يوم. فقد نويت أن أفتش المنزل بدقة وقد فعلت، كل ما وجدته كان الرسائل.. وحين تحققت من روما..» ارتعش وتابع: «الباقي تعرفونه».

نهضت كارمن وقالت: «سأحضر المزيد من القهوة أترغبان بذلك؟».

«أجل، من فضلك» ردا سوياً ثم نظرا الى بعضهما البعض وابتسما.

«هل نستطيع ايضاح شيء واحد؟» سألته بخفة لأنه ولسبب غامض لم ترغب بالتطرق الى مواضيع جدية: «لقد سألنا انطوني للخروج برفقته على متن القارب يوم الأحد. ذاك لم يكن جزءاً من المؤامرة لا؟».

رفع حاجبيه وقال: «ليس كما تقصدين لا.. مع أن انطوني قد يكون..» صمت ثم تابع: «لا يهم».

شعرت ناتاشا بالحيرة وقالت: «أخبرني».

هز كتفيه وقال: «حسناً، أعتقد أن الدافع شخصي» وابتسم بخبث.

«آه!» يا للسؤال السخيف..

وهي مستلقية بسريرها تلك الليلة عرفت الاجابة عن هذا السؤال. لقد انزعجت لعدم اكتراث روبرتو الواضح لخروجها مع انطوني لأنها أرادت أن يشعر روبرتو بالغيرة. الغيرة! وجلست ناتاشا على السرير.

ورأسها يؤلمها بشدة. لماذا الغيرة.. ولماذا روبرتو؟ لقد أخذت تراقبه بسرية وهو يجيب على أسئلة كارمن ببقية تلك الأمسية، تراقب ملامحه الصلبة الجذابة، عيونه الداكنة، رموشه الطويلة وشيء غريب يتحرك بأعماق قلبها. كانت لتود الاستمرار بذلك مطولاً لكن روبرتو نظر اليها بعد قليل وكانت مضطرة لابعاد نظرها.. حتى لا يرى. لكن الآن وهي تتذكر ذلك ملأ الدفء حناياها وأدركت أنها كانت ترغب حينها بالاقتراب منه، ملامسته، تقبيله.. لا تكوني غبية، أنبت نفسها بشدة وشدت رأسها مجدداً على الوسادة. لا تكوني بلهاء. نامي، نامي الآن. لكن ولسبب ما جفاها النوم تلك الليلة.

مر اليوم التالي وناتاشا تشعر ببطئه وبرودته. لقد قامت وكارمن بالنزهة الصباحية، زارتا القلعة القديمة وزارتا المتجر والأختين لورا وفلورا. نهارهما كان مسلياً فعلاً لكنهما لم يفتحا الموضوع الساكن أفكار ناتاشا. روبرتو! كان دائماً داخل عقلها. اقتربت من النافذة حين عادتا الى المنزل مساءاً لماذا؟ أترغب برؤية روبرتو وهو يتجه الى رحلته الليلة المعتادة؟ عادت الى قرب المدفأة وهي تعض على شفتها.

«لم لا تذهبين بنزهة؟» سألتها كارمن برقة.

«أتحاولين التخلص مني؟» سألت ناتاشا بابتسامة خفيفة.

«كلا، لكنك كنت كالقطة السائدة على الجمر طوال النهار. السير قد يفيدك.. يصفي ذهنك» توقفت ثم أضافت بلطف: «انه روبرتو اليس كذلك؟».

نظرت ناتاشا اليها فوراً وقالت: «وهل الأمر واضح؟».

ضحكت كارمن: «لأي شخص آخر كلا. لكني أعرفك جيداً أتذكرين؟».

جلست ناتاشا قربها وتأوهت: «آه، كارمن. ألا أتصرف بغباء؟ لا أستطيع التوقف عن التفكير به. انه دائماً داخل عقلي. ماذا يجب أن أفعل؟».

«لا شيء. ستفكرين بشيء ما يا حبيبتي. سيكون بالجوار سترين ذلك».

«كلا، لقد كان مختلفاً مساء البارحة. لا أستطيع شرح ذلك لكنه كان مختلفاً. آه، لا أقصد اطلاعه لنا على حقيقة عمله. تعرفين كم كان عدائياً قبل ذلك؟ لا بأس لقد تبخر ذلك الآن. لكنه قد تغيّر. بطريقة ما قد تغير كلياً. هناك نوع من.. من البرود.. لا أعرف كيف أوضح ذلك..».

«أعتقد أنني أعرف ما تقصدين» قالت كارمن ببطء: «لكن هل خطر لك.. أن يعتقد هو أنك معجبة بأنطوني لكن كمجرد صديق.. مجرد شخص لطيف لقضاء بعض الوقت برفقته، هذا كل شيء».

«أجل أعرف» ردت ناتاشا: «كلتانا تعرف ذلك. لكن هل يعرف روبرتو ذلك؟».

«أعتقد.. أنني كنت أفضل روبرتو العدائي البغيض» قالت ناتاشا بمرارة.

ضحكت كارمن وقالت: «كان ذلك أكثر تسلية. هيا اجلبي معطفك واخرجي للنزهة. سيري حتى تتعب قدماك على الشاطيء سأجلس أنا هنا وأخط رسالة لزوجي».

«هل أنت متأكدة أنك تريدين ذلك؟».

«مئة بالمئة هيا اذهبي» كان الرد.

خرجت ناتاشا التي كانت بحاجة فعلاً للتفكير الهادىء والمنطقي بما كان يختلج داخلها الهدوء الساكن للغروب في الخارج كان أكثر من رائع وجلست هي على صخرة قرب الشاطيء وقد اعتراها الهدوء

والسكون وأخذت ترمي الحصى بالبحر وتفكّر.

أنت لا تستطيعين الاستمرار بالتفكير برجل لا يهتم حتى لوجودك. لكن التفكير أسهل بكثير من التنفيذ. عليها مغادرة هذا المكان بسرعة والابتعاد عن روبرتو ستافرو! وقد لا يكون هو هنا حين تعود بزيارتها الثانية لاحقاً! شعور هائل من الفراغ اعتراها لهكذا فكرة وضحكت لسخافة ما يحدث. لقد أخذت هذه العطلة للهروب من الناس ومن الرجال للاستعداد للعودة بحماس الى العمل مجدداً. لكن الآن عملها، الأضواء الكاميرات، الحفلات، العشاءات، العطل.. كل هذا يبدو مملاً ومخالفاً لرغبتها.

لماذا؟ لأنها وقعت بحب رجل داكن البشرة أظهر لها كيف يكون الرجل. لقد أخبرها أنها حتى لا تحسن التقبيل. هذه الكلمات لا تزال تتردد بذهنها مسببة لها الألم. كان هو قاسياً أيضاً. قاسياً وفظاً.. لكنها شعرت أن بإمكانه أن يكون لطيفاً ورقيقاً لكن ليس معها هي بالطبع. تناولت حصاة ضخمة ورمتها بالبحر مجدداً. اعترتها وحدة هائلة. فنهضت. من غير المجدي الاستمرار بالتفكير الى الأبد التفكير لن يقود الى شيء.. فقط سيزيد الأمور سوءاً، عادت للسير، غداً سيصطحبهم انطوني برحلة بحرية وسيخرجان بنزهة أخرى يوم الاثنين ثم سيرحلان..

«آه، آه، بمفردك؟» قاطع الصوت أفكارها واستدارت بذهول لتجد شاغل أفكارها برفقة كلابه يقترب منها. تسارعت نبضات قلبها مخافة أن تكون قد نطقت أفكارها بصوت مرتفع لأنه كان يشعرها بالارتباك الكامل.

«أجل. كارمن تكتب رسالة لزوجها. لست بطريقك الى رحلة صيد الليلة صحيح؟».

«ليس الليلة» وافقها بملامح غامضة.

لم تعرف ماذا عليها أن تقول. . لقد شعرت فجأة وكأنها تلميذة مدرسة مراهقة وبدفاع قالت: «سنرحل من هنا بعد أيام قليلة».

«حقاً؟» سألها وهو يسير الى جانبها الآن: «الأضواء البراقة تنادي؟».

«أجل» ردت وقد استعادت رباطة جأشها الآن ليرى أنها بدورها لا تهتم، قالت لنفسها وله قالت: «المكان جميل جداً هنا لكنه هادىء جداً بالنسبة لفتاة من المدينة مثلي» كان هو قد استعمل التعبير ذاته لوصفها مرة فنطقت بالكلمات بضحكة حتى تشعره أنها لا تكترث.

رماها بنظرة غريبة أثارت حيرتها بدورها. شيء ما كان يسيطر على الجو بينهما، التوتر مجدداً؟ ربما! لكنها لم ترغب بأن تدعه يفكر بهذا السبب، لن تدعه يعرف أبداً لأنه يعطي كل انطباع أنه لا يكترث.

«أعتقد ذلك» قال أخيراً: «الرحلة الغريبة على متن القارب الصغير لا تعتبر شيئاً أمام كل تلك النوادي الليلية والمطاعم الراقية صحيح؟».

«تجعل الأمر يبدو سهلاً وجميلاً. لكني لا أستطيع الاحتفاظ بوظيفتي اذا لم أقضي الليالي بالسهرات والعشاءات، أؤكد لك ذلك».

«صحيح. جمالك هو العامل المساعد بالطبع. مع أنني أعتقد ومن رؤيتي لبعض العارضات الساحرات بمجلات الموضة أن بعض الطعام الحقيقي لن يضرّ بهن. أنا لا أجد أية جاذبية بالنساء النحيفات».

ما الذي يقصده بالضبط هي لا تعرف لكنه يحاول الوخز وهو ينجح بذلك دوماً.

«هذا هو رأيك» قالت ببرود: «وأنت حر به. . لكني لا أتخيلك

كقاريء لمجلات الموضة كما تسميها».

«حقاً. وماذا عنك؟».

«ماذا عني بماذا؟».

«هل أنت قارئة دائمة لها؟».

«أتمتع بالنظر اليها أجل» قالت بعدم اكتراث: «معظم النساء كذلك. لكني لم أخرج بنزهة للتحدث عن شؤون عملي». خرجت للتفكير بك، أضافت لنفسها بصمت.

«سامحيني» تمتم: «يصعب اختيار موضوع للحديث. . أنا مجرد رجل ريفي بسيط وكل. . ».

«أنت مضحك» قالت مقاطعة اياه.

ضحك وقال: «هذا أفضل. لست معتاداً على اجراء المحادثات المؤدبة. . وأنت؟».

«لا أعرف ماذا تقصد» قالت وهي تسرّع خطواتها.

«آه بلى تعرفين. لقد كانت معركة مستمرة بيننا منذ اللحظة التي التقينا بها. . لا تدعينا نفسد السجل الآن. ».

«وخطأ من هو هذا؟» قالت بحدة: «أنت. . أنت. . لم تتمكن من ايجاد الكلمة المناسبة. أنت تجعلني أضحك. هل تعتقد أنني أهتم؟ شخصياً أنا أفضلك كما كنت بالسابق عدائي وبغيض. . آه أجل كنت كذلك. ولهذا فلا تدّعي العكس. أستطيع تذكر وجهك حين وصلت أنا الى هنا بالمرة الأولى ورأيت حالة منزلي. كنتَ سعيداً حينها بحالة المنزل التعيسة. . لكن على الأقل كنت أعرف مكاني منك. اذن دعنا نبقي الأمور على تلك الحال أجل؟».

«واو» هتف بتصفيرة مطولة: «يا للفتاة! تلك هي ناتاشاتي!».

«لست ناتاشاتك» قالت وأسنانها تصطك. الوضع كان يفلت من يديها. لكن اذا ما اعتقد أن. .

«من الواضح أنك لست كذلك. كان هذا مجرد تعبير مجازي، وعليّ أن أستميح عذرك. لم أدرك أن ذلك سيكون مهيناً لك..».

«أجل، انه كذلك! لا تمتدح نفسك كثيراً من فضلك! من تعتقد نفسك بحق السماء؟» سألته.

«آه، أنا أعرف حق نفسي. مع أنني لا أعتقدك واثقة من ذلك. انظري الى نفسك ترتجفين غضباً لمجرد سماعك لتعليق مرح من شخص ما..».

المشكلة أنك ليس مجرد «شخص ما» قالت لنفسها. كل ملاحظتك مهينة ومؤلمة.

كل شيء كان هادئاً حولهما، الكلاب قد اختفت والشمس كانت تلون كل شيء بالأحمر القاني والرياح تتلاعب بأمواج البحر وشعرها الحريري وظلان داكنان لشاب وفتاة يقفان على رمال الشاطيء ويحدقان ببعضهما البعض. كان هناك الكثير من الكلام لكن أحدها لم يكن مستعداً لقوله ليس بعد..

«وأنا أيضاً أعرف قدر نفسي بالضبط شكراً لك. أنا متأكدة أنك تعتقد نفسك السيد المطلق هنا وأن لا أحد غيرك يهم. حسناً، دعني أخبرك سيد روبرتو ستافرو أنك مخطأ. العالم لا يدور حولك وحدك وحول عملك كن أكيداً من ذلك».

بدأ يضحك: «أتعرفين، تكونين مغوية جداً حين تكونين غاضبة.. أقصد تحشيني لتقبيلك ولو فقط لاسكاتك».

«لا تحاول ذلك» صاحت وقبضتها ترتفع: «أنا لم أنسى ما قلته لي بهذا الشأن. المسني وسأضربك».

«وما الذي قلته؟» سأل بحيرة واستمتاع.

«أنت.. أنت.. أخبرتني» كان من الصعب عليها النطق بذلك: «انني لا أحسن حتى التقبيل بطريقة صحيحة».

«أنا قلت ذلك؟» سأل بدهشة: «يا لي من عديم اللياقة».

«أجل» واستدارت وتابعت السير. من المضحك كيف بإمكانك حب وكره الشخص ذاته بنفس الوقت. فهذا بالضبط ما كانت تشعر به ناتاشا بهذه اللحظة نحو هذا الغريب الساحر النظرات.

«يا لقساوتي» قال وهو يلحق بها ويمسك بذراعها.

«أجل كنت كذلك» قالت وحدّقت به بقسوة: «أترك ذراعي.. الآن».

«أنت تتحرقين غضباً» قال.

«لا أبداً. رأيك بي لا يهمني مطلقاً ولا لذرة واحدة..».

«أنا لا أصدقك» قال برقة.

«اذن أنت تنعتني بالكاذبة الآن؟ شكراً لك».

«ليس تماماً. لكن حتى ولو كنت لا تكترثين للشخص الآخر فلا شك أن رأيك به سيهمك ولو من باب التسلية.. وأنت لست عديمة الاكتراث نحوي».

ما الذي يقصده؟ من غير الممكن أنه قد فكّر.. هذا مزيج ولا تستطيع مجرد التفكير بهكذا امكانية.

ولهذا فقد قالت بسرعة.. بسرعة فائقة: «كلا، لست كذلك. أنا.. أنا غير معجبة بك حتى».

«حسناً، هذا صادق بطريقة ما».

«أجل انه كذلك. ولهذا هلا تركت ذراعي؟».

ترك ذراعها فجأة ولم تتحرك ناتاشا من مكانها. لم ترغب بذلك دون أن تعرف لماذا.

«حسناً هيا انطلقي أيتها الفتاة الصغيرة. أنت حرّة الآن أترين؟» رفع اليد التي كانت تمسك بها: «اذهبي وتابعي نزهتك بمفردك».

وبدون أية كلمة أخرى خطت ناتاشا الى الأمام وسارت وهي تجبر

نفسها على عدم النظر الى الخلف. وحين فعلت بعد مسافة كان قد اختفى كليا.

صباح يوم الأحد وصل انطوني على الموعد ورغم كل محاولات ناتاشا رفضت كارمن الذهاب معهما لأن رأسها كان يؤلمها كما قالت وهكذا فقد اقتصرت الرحلة على ناتاشا وانطوني الذي كان سعيداً كما يبدو لهكذا تدبير.

انطلقا بالقارب الجميل واستمر الحديث بينهما بمرح وخفة وضحكت ناتاشا كثيراً حين رأت دهشة انطوني لدى اطلاعه على معرفتها وكارمن للحقيقة. واستمع لها بلهفة وهي تخبره بتفاصيل ما حدث.

ضحك وقال: «عليك العمل معنا ناتاشا هنا، انك تحرية رائعة!».

ضحكت ناتاشا بدورها وتتابع الحديث بينهما بسلاسة. لو أن فقط روبرتو يغادر أفكارها! لو أنه فقط يتركها وشأنها للحظات فقط لكن هذا لم يكن ممكناً فبالرغم من رقة انطوني وجاذبيته الا أنه لم يكن روبرتو..

وصلا الى الجزيرة الصغيرة المحددة للرحلة وحملها انطوني وسار بها الى الرمال الجافة وحين وضعها فاجأها بطبع قبلة على شفاهها.

كان هذا هو الوقت الغير مناسب والمكان الغير مناسب والرجل.. الرجل الغير مناسب. الحقيقة الأخيرة والتي شعرت ناتاشا بها بقوة ما دفعتها لابعاد انطوني عنها وهمست: «انطوني لقد جئنا هنا للتنزه فقط».

«لكن هذا جزءاً من التنزه» قال بمرح وبراءة.

«كلا. أفضل التراجع اذن اذا ما كانت هذه فكرتك عن قضاء هذا اليوم».

«آسف» قال بصدق مرح: «لن أضايقك مجدداً مادام التقبيل يجعلك هكذا. اتفقنا».

«اتفقنا» قالت بابتسام لوجهه الطفولي وتابعا المسير.

«ناتاشا» قال بعد حين وفجأة: «ما رأيك بروبرتو؟».

أخفضت نظرها فوراً مخافة أن تظهر ردة فعلها داخل عيونها لسؤاله المفاجيء هذا وقالت: «من أية ناحية؟».

«من الناحية التي تريدين. أنتما.. ايه.. لا تتفقان سوية؟».

«تستطيع قول ذلك» ردت بجفاف: «من الناحية الأخرى تستطيع أن تقول أنه أكثر الرجال فظاظة وتعجرفاً وعدائية من كل رجال الأرض وسوء حظي وحده هو الذي دفعني للالتقاء به و..».

«واو! يكفي هذا لهذه الرحلة. آسف لسؤالي» بدا فعلاً نادماً وكان على ناتاشا الابتسام.

«آسفة، انطوني. انه فقط.. آه لا أستطيع التعبير عن ذلك بالكلمات! كان لطيفاً فقط للحظات، بعد أن اتهمته باقتحامه لمنزلي، وفيما هو يطلعنا على السبب وعن حقيقة هويته.. فقط للحظات لكني لا أظن أن ضمن طبيعته أن يكون لطيفاً لوقت طويل، كيف تستطيع العمل معه على كل حال؟».

«روبرتو؟ يا له من رجل! انه شخصية رائعة.. آسف أعرف أن هذا قد يبدو سخيفاً لك خاصة بعد ما قلته عن رأيك به لكني أجده كذلك فعلاً».

بدهشة محيرة هي لم تكن مندهشة لسماعها ذلك. وتابع انطوني بحماس صادق: «انه مغرم بالنكات وبالمزاج.. بإمكانه أن يتصرف بمرح هائل بعض الأحيان صدقيني. انه يتكلم سبعة لغات بطلاقة.. لقد زار كل العالم تقريباً. انه شخصية رائعة».

لم ترغب بالسؤال لكنه خرج منها غصباً عنها: «انه ليس متزوجاً

بالطبع؟».

نظر انطوني اليها ولم يكن من الصعب رؤية ما بدا داخل عيونه لكنه هز رأسه وقال: «كلا. هذه هي حياته. أحدهم كان يعرفه قبل مجيئه الى هنا. وقد ألمح الى وجود امرأة ما في حياة روبرتو في السابق.. المرأة اذته.. وحوّلته الى ما هو عليه لمصلحته. سواء أكان ذلك صحيحاً أم لا.. فإن آخر ما قد يفعله أحدنا هو سؤاله عن ذلك.. صدقيني.. شيء واحد بالغ الوضوح.. ألا وهو أن روبرتو ستافرو كاره للنساء. كنت مهتم لأعرف رأيك به ولم يثير رأيك دهشتي. انه بعيد كل البعد عن اللطف والمعتاد مع الجنس الآخر وهذه حقيقة ثابتة».

كان عليها معرفة ذلك. فهذا يفسّر تلك القبلات.. قبلاته المزدرية الدالة لا على العاطفة بل على السخرية والتهكم. شعرت فجأة بالبرودة. حسناً على الأقل هي تعرف مكانها منه الآن. وسيطر عليها شعور عميق وغريب من الوحدة والانعزال. أخذت نفساً عميقاً. الآن، يكفي هذا.

«حسناً» قالت بخفة: «دعنا لا نضيّع الوقت على هكذا موضوع أجل؟ أخبرني الآن عن نفسك. من أي بلد أنت مثلاً؟».

وأقنعت نفسها وهي تستمع لشرح انطوني المرح أن هذا ما تريد سماعه. ثم حدثته بدورها عن حياتها وعملها.

أخذ الجوع منها كل مأخذ بعد كل هذا الحديث فنظرت اليه وقالت: «انني أتضور جوعاً.. هيا ماذا لدينا الآن؟».

«آه» هتف بمرح: «لا تنظري اليّ هكذا ناتاشا والا فإنني سأرغب بتقبيلك مجددا».

«انه الجوع» سارعت للقول بمرح: «اذا لم تسرع بفتح هذه السلة فلن أكون مسؤولة عن النتائج».

«حسناً، حسناً» قال وتناول الساندويشات لم يكن من داعي للتحدث وهما يتناولان الطعام. ووجدت ناتاشا أن انطوني فعلا رفيق ممتع وساحر وكانت تتمتع بوقتها معه رغم كل شيء رغم وجود ظل رجل ما بينهما.. لكنها تأكدت ألا يشك انطوني بهوية هذا الرجل.

وكأنه شعر بذلك بدوره فقد سألها بعد أن سبحا وهما مستلقيان على الرمال: «أنت مغرمة بأحدهم اليس كذلك؟».

«أجل» تمتمت بصدق، لكنه لم يسأل عن هوية الرجل. وحتى لو فعل فإن ناتاشا ما كانت لتطلعه على ذلك.

«عندي فتاة في بلدتي. كانت دوماً صديقة شقيقتي وكنت أعرفها منذ سنوات لكن في المرة الأخيرة شعرت وكأنني أراها للمرة الأولى، شيء ما ضرب قلبي.. هذا هو كل شيء في الوقت الحالي لكن.. من يعرف؟».

«وقد قبلتني؟ يا للعار!».

ضحك وقال: «ومن لن يرغب بفعل ذلك؟ لا أذية من قبلة صغيرة أو قبلتين ناتاشا.. انها مجرد اشارة الى المودة والصداقة ألا تعرفين؟».

هي تعرف. معه انها كذلك، لكن لماذا الأمر مختلف مع روبرتو في حين أنه غير معجب حتى بها؟ لكن أحداً لا يستطيع الاجابة عن هذا السؤال.

تتابع النهار بسرعة حيث عادا الى المنزل مساءاً كانت ناتاشا مدركة أن هذا كان يوماً جميلاً وممتعاً. بقي انطوني معهما لتناول العشاء ثم سارت ناتاشا لوداعه حيث رحل أخيراً بطريق عودته الى جزيرة لارنا.

قبّلها بأخوة مودعاً وقال من على متن القارب: «لنأمل أن يحقق كلانا ما يأمل به».

ضحكت ولوحت له مودعة وهمست: «آمل أن تحصل على

فتاتك» لكن بما أنه لا يعرف حقيقة هوية من تحب فهو لن يعرف مدى استحالة ما تمناه لها. عادت الى المنزل وقد انخفضت معنوياتها مجدداً بحزن.

سارتا يوم الاثنين الى القرية واشترتا الطعام ثم زارتا الشقيقتين. فرحتا لورا وفلورا جداً بهذه الزيارة وتساءلت ناتاشا عن ردة فعلهما اذا ما عرفا هوية روبرتو ستافرو الحقيقية. بالنسبة لهم كان هو مجرد مراقب طيور يؤلف كتاباً عن الأنواع المختلفة الموجودة على جزيرة مارغريتا.. رجل يوصلهما حين يكون ماراً من قربهما. وهذا كان كل شيء. مر اليوم بعد ذلك ببطء وبرود رغم اشغال ناتاشا لنفسها بأعمال التنظيف والغسيل. ولم تلمح روبرتو مطلقاً لربما كان هو في المخيم!!.

صباح يوم الثلاثاء تنزهتا على الشاطيء وزارتا السيد جون صاحب المتجر الذي سعد كثيراً بلقائهما. أدركت ناتاشا أنهما يقضيان الوقت الآن بالزيارات والمجاملات الاجتماعية. لكن بعد وقت قصير ستعود حياتها الى طبيعتها مجدداً. طبيعتها؟ وما كان ذلك تساءلت بحزن؟ أهي الحياة السريعة كالدوامة في المدينة حيث لا يملك أي شخص الوقت بمجرد النظر الى الآخر؟ حيث نادراً ما يبتسم الناس لبعضهم البعض لأن الغرباء هم من يحيطون بك دوماً؟.

تنهدت ناتاشا بعمق فنظرت كارمن اليها وقالت بقلق: «يا حبيبتي.. ما الأمر؟».

«كنت فقط أفكر بالحياة بشكل عام وكم هي مثيرة للضحك».

طأطأت كارمن رأسها وهمست: «أجل أعرف الصاعقة تضربنا أحياناً. خاصة حين..».

«حين ماذا؟».

ابتسمت كارمن بوهن: «حين تقعين بالحب للمرة الأولى».

أغمضت ناتاشا عيونها وقالت: «سنعود الى روما بعد أيام قليلة ولن أراه مجدداً أبداً».

تساقط المطر صباح اليوم التالي وكأن السماء بدورها كانت كنفسية ناتاشا حزينة، متلبدة ومكتئبة. روبرتو كان يتملك كل أفكارها كما أصبحت العادة مؤخراً وأخذت ناتاشا تفكر بحياتها من دون وجوده. كل ما كان يعطيها السعادة من نجاح وحفلات وصخب أصبح الآن بلا معنى لها. لم تكن تعرف أن الحب سيكون هكذا أو أن شيئاً قد يصبح أهم عندها من عملها يوماً والمصيبة أنها وقعت بحب رجل لا يبادلها مشاعرها لأنه لا يعرف معنى الحب نظراً لتلك المرأة التي جعلته كذلك. شعرت ناتاشا بعمق كرهها وغيرتها من تلك المرأة المجهولة التي حوّلت روبرتو الى كاره للنساء، متعجرف وقاسي.

آه، توقفي عنّفت نفسها، توقفي عن الاسترسال بهذه الأفكار فذلك لن يسبب لك الا المزيد من الألم.

تناولت الغداء ولاحظت أن كارمن كانت ترمقها بنظرات غريبة بين الحين والآخر.

«كارمن، ما الأمر؟» سألتها ناتاشا.

«لا، لا شيء» ردت الصديقة: «فقط أنا أشعر بالقلق عليك..».

«لا داعي لذلك سأتخطى هذا فور مغادرتي لهذا المكان».

«المشكلة أنني لا أعتقد ذلك. أنا أعرفك ناتاشا أنت بالغة الحساسية وعاطفية لأقصى درجة. لم أتخيل يوماً أنك ستغرمين برجل.. برجل مثل روبرتو ستافرو لأنه..» وتوقفت.

«لأنه ماذا؟» حثتها ناتاشا.

«لأنه يغلّف نفسه بغطاء قاسي من عدم الاكتراث والعجرفة لسبب أجهله. لكني أعتقده بالغ الرقة والطيبة من الداخل ولهذا أقول..».

احتارت ناتاشا وقالت: «تقولين ماذا كارمن؟ هيا قولي».

«حسناً، أقول انه بحاجة ربما لبعض التشجيع.. أقصد هو لا يعرف شيئاً عن حقيقة مشاعرك نحوه ولربما هو بدوره يكن لك نفس المشاعر من يدري؟ فما رأيك بأن أكون أنا كيوبيد رسول الحب و..».

«كلا، كلا» صاحت ناتاشا فوراً بهلع: «لا تفكري حتى بذلك كارمن أرجوك. لا أستطيع تحمّل ذلك فعلاً».

«لا بأس، لن أفعل» طمأنتها كارمن. لكن شيئاً ما داخل ناتاشا جعلها تشك بتطمين صديقتها.

الوقت أخذ يمر بسرعة الآن فجأة بعد أن قررتا الرحيل يوم الجمعة استلقت ناتاشا بسريرها والنوم بعيد عنها وأخذت تفكر بما حدث لها على هذه الجزيرة. لن يصدّق أحد من معارفها ذلك وهي لن تخبرهم بذلك دون شك، لقد وصلت لتأخذ قسطاً من الراحة. وها هي ستغادر بعد غد بقلب مجروح مثقل بالألم لأنها وقعت بالمحظور وذاقت مرارة الحب من طرف واحد. وشعرت بأعماقها أن نسيانها لروبرتو وسلخه من أعماق قلبها قد لا تكون مهمة ممكنة فهي حين تحب، تحب بكل ذرة بكيانها وهذا ما حدث لها.

صباح اليوم التالي كان مشمساً مع بعض الهواء البارد ويبدو أن عيون ناتاشا كانت منتفخة بوضوح، بسبب بكاءها وسهرها لمعظم الليلة السابقة، لأن كارمن نظرت اليها ثم عبست وقالت: «يبدو أن ليلتك لم تكن هانئة».

اكتفت ناتاشا بهز رأسها وتشاغلت بتحضير الفطور لهما. شهيتها كانت معروفة لكنها تظاهرت بتناول التوست والمربى وعقلها سارح.

ذهبتا لزيارة القلعة الأثرية كنزهة الوداع للجزيرة قبل رحيلهما القريب وتسلتا باكتشاف دهاليزها وغرفها الأثرية الضخمة. كان

التعب قد أخذ منهما كل مأخذ حين عادتا في المساء. فتناولتا طعام العشاء وتثاءبت كارمن قائلة: «آه، أشعر بالنعاس! ما رأيك بالنزول للتنزه على الشاطيء ناتاشا! الهواء المنعش سيساعدك على تهدئة خواطرك. فمن الواضح أنك تعيسة. هيا اذهبي الى البحر ولا تفكري بشيء وحاولي التخفيف عنك يا حبيبتي فكل شيء سيسير على ما يرام».

«أجل. سنغادر وسأعود الى حياتي المعتادة وأنسى كل ما حدث لي هنا..» توقفت ثم نظرت الى صديقتها متابعة: «هل أنت واثقة أنك لا ترغبين بالنزول معي، البحر رائع بمثل هذه الساعة».

«آه كلا أنا فعلاً تعبة سأقرأ قليلاً ثم أخلد للنوم. أو قد تجدينني جالسة أمام المدفأة بانتظارك».

«حسناً الى اللقاء. سأودّع البحر ثم أعود».

سارت وسارت وخطواتها تقودها الى لا مكان وأفكارها تتلاطم كأمواج البحر أمامها. جلست على صخرة كبيرة وأرخت لدموعها العنان غداً ستغادر الجزيرة ولن تشاهد روبرتو أبداً لكن صورته ستظل محفورة بعقلها بوجدانها.

كانت تشهق بدموعها وتمسحها بصمت حين داعب سمعها صوت حبيب يقول بلطف متناهي: «آه، ناتاشا، ناتاشا. الى أين كنت ستهربين؟».

الذهول، الصدمة السعادة مع الأمل تمازجا داخل عيون ناتاشا الباكية وهي تستدير لرؤية وجه روبرتو قربها.

لم تستطع الا أن تحدق به والمفاجأة قد أخرست لسانها.

مد يده ملامساً ذراعها وهمس بصوت يذوب رقة: «لماذا أنت ترتجفين هكذا؟».

«أنا؟ أنا.. لا أعرف» قالت ولكنها كانت تعرف.

«أيتها الحمقاء! كنت سترحلين دون أن تخبريني!» قال وعيونه مدفونة داخل عيونها ببريق غريب تراه ناتاشا للمرة الأولى. توسعت عيونها وانتفض قلبها بشدة وهمست: «أخبرك.. بماذا؟».

«بهذا!» همس ووضع يده على قلبها حيث النبضات الجنونية كانت خير دليل: «لقد أخبرتني كارمن».

هزت رأسها وصاحت وهي تغطي بيديها وجهها: «آه لا، لا.. لا».

«آه بلى. هيا عودي معي يا حبي.. هيا ناني» قال ووضع ذراعه حولها.

هل قال فعلاً يا حبي أم أن خيالها أوحى لها بذلك.

«ما.. ماذا؟» همست بعدم تصديق.

«أجل أنت حبي ألا تعرفين؟».

«أعرف ماذا؟» قالت بنفس متقطع لبشائر النور التي أخذت تتراءى أمامها.

«تعرفين لماذا كنت أتصرف بعدائية وجفاف نحوك.. كالثور كالشيطان المتعجرف.. منذ اللحظة التي رأيتك بها؟ لأنني.. لأنني سقطت صريع هواك.. وصارعت بقوة هذا الشعور الذي غمرني كالطوفان وتغلغل داخل شرايني. ظللت كذلك حتى قبل عشر دقائق من الآن حين وصلت كارمن الى منزلي وأطلعتني على حقيقة مشاعرك نحوي. طلبت مني أن أحصل على عفوك عنها لتصرفها هذا ولكنها لم تكن قادرة على تركك تتعذبين وتغرقين بأمواج اليأس فيما بإمكانها المساعدة» قبّلها على وجهها وتابع: «يا حبيبتي اسف لتسببي لك بذلك لكن أقسم لو أنني شككت بحبك لي لكنت وجدتني عندك قبل الفجر.. أتعلمين!» صمت قليلاً وحدّق بها بحب ثم تابع: «لقد أخبرني انطوني أنك مغرمة ذلك اليوم وألمح الى أن أكون أنا من

يشغل قلبك لكني ضحكت وسُحرت من هكذا فكرة لأنني كنت أعتقد أنك تكرهيني.. أو على الأقل هذا ما كنت تعطيني اياه من انطباع كلما التقينا».

التصقت به باعتذار وقلبها يتراقص من السعادة وهمست: «هل هذا كل ما ستقوله؟».

عانقها وقال: «لكن كلما قبلتك كنت أشعر بسيل عواطفك الجامح لكني اعتقدت أنني كنت أتخيل ذلك. ولولا مجيء كارمن اليّ اليوم كنت سآتي أنا اليك لأعرف ذلك بنفسي فالنيران التي أشعلتها بداخلي كانت بحاجة للاطفاء».

«للاطفاء؟» كررت بخبث وهي ترفع وجهها اليه.

«أجل وبهذه الطريقة» قال وأغرقها معه بقبلة حملت كل شعلة حبهما الى الذروة وبعد وقت طويل حين عادا الى منزل ناتاشا حيث كانت كارمن بانتظارهما. وضعا يديهما بيد بعض وأدركت ناتاشا أن المستقبل يفتح ذراعيه لها ولحبيبها الغريب الداكن الذي أصبح كل حياتها.